رابعًا:

قسم العقيدة والفلسفة

ويشتمل على التالي:

١- منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى

٢- موقف المنهج السلفي من الغلو والجفاء

٣- نماذج من الاستدلالات المنطقية في القرآن الكريم

منهج القاضي عبد الجبار
في
الرد على النصارى

دكتور
محمود محمد حسين علي
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين القاهرة _ جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فقد كان ظهور الإسلام وانتشار دعوته بين أصحاب الديانات المختلفة في شبه الجزيرة العربية باعثا لنشأة الجدل بين المسلمين وأتباع تلك الديانات، ذلك الجدل الذي لم يكن في بادئ الأمر يتجاوز الدعوة إلى الإسلام،والاعتراض على بعض عقائد هذه الديانات من جهة، والسؤال عن كنه الإسلام ومحاولة دفع هذه الاعتراضات من جهة أخرى.

فمنذ نزل الوحي على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والحجاج العقلي لم ينقطع مع أهل الكتاب قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [1]، واستمرت المحاورات والمناقشات – وما زالت – تشتدّ حينا وتضعف أحيانا أخرى، ولا يكاد يخلو عصر من المساجلات الشفوية والمدونة.

ولما كانت النصرانية هدفا لكثير من تلك الاعتراضات والحملات التصحيحية التي وجهها القرآن لأصحاب العقائد المخالفة، بغية الخروج بهم من دائرة الشرك والوثنية إلى دعوة الفطرة والوحدانية، فقد قام النصارى ـ بدورهم ـ يردّون على تلك الاعتراضات، ويحتجّون لدينهم وعقائدهم.

---

١ – سورة آل عمران: الآية ٦٤

وقد كانت هذه المجادلات بسيطة في بداية الأمر، ثم نشط النصارى بقوة للعمل ضد الإسلام، مستعينين بالمنطق والفلسفة وبكبار علمائهم في تصنيف الكتابات الجدلية التي تستهدف جوهر الإسلام، وتلوّح بعدم أصالة دعوته، وتنشر الدعاوى الزائفة حول نبيه صلى الله عليه وسلم للتشكيك في صحة نبوته.

وقد صوّر الجاحظ خطرهم على الأمة الإسلامية، وأحابيلهم في ضرب عقيدتها، وهدم فكرها بقوله: " على أن الأمة لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصابئين كما ابتليت بالنصارى، وذلك لأنهم يتتبعون المتناقض من أحاديثنا، والضعيف بالإسناد من روايتنا، والمتشابه من آي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا، ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربما تجرأوا على علمائنا وأهل الأقدار منا يشغبون على القوي، ويلبسون على الضعيف " (١)

ولقد مثّل هذا الهجوم تحديا للمسلمين فكان حافزا لمفكريهم على التصدى له، بقوة يدعمها الحق والحجة والأسس المنهجية.ولقد قيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة علماء _ على مدار تاريخ المسلمين _ يتصدون لأمثال هؤلاء المبطلين، فيقذفون بالحق باطلهم، وينفون بالصحيح زيفهم، ويزهقون بالعلم ما زخرفوه من أقوال، وما زوروه من دعاوى، كما قام أولئك العلماء بفضح النصارى ونسف أركان عقيدتهم المحرّفة، وكشف ما هي عليه من تناقض، وما تحمله من غموض وحيرة ولبس حتى بين من يدعون فهمها حق الفهم من رجال الدين، دع عنك الغوغاء والعامة.

---

١ - المختار في الرد على النصارى: الجاحظ _ تحقيق ودراسة د/ محمد عبد الله الشرقاوي _ طبعة دار الجيل _بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م ص٩١، ٩٢

فقد انبرى علماء المسلمين للرد على المخالفين في كل عصر، يقول ابن تيمية: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد بكلامه العلم واليقين "(١)

ولعل أبا بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ /١١٤٨م) قصد مثل هذا الطراز من العلماء الناصحين لدين الله أولئك الذابّون "عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع، فهم شجعان الإسلام، وأبطاله المدافعون عنه في مآزق الضلال"(٢)

وقد عبّر أبو الحجاج البلوي (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٨م) عن ذلك بقوله: "ويأبى الله إلا أن يعزّ هذا الدين ويناصره، أقام له حماة أمجادا، كماة أنجادا، نصروه بكلامهم، وزبروه في الكتب بأقلامهم " (٣)

وكان القاضي عبد الجبار الهمذاني (٤)[ت ٤١٤هـ _ ١٠٢٥م] من أوائل

---

١ - درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية _ تحقيق د/ محمد رشاد سالم _ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م جـ ١ ص٣٥٧.

٢ - العواصم من القواصم: أبو بكر بن العربي _ تحقيق د/ عمار طالبي _ طبعة مكتبة دار التراث القاهرة _ بدون تاريخ صـ ٣١٨

٣ _ ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة: أبو الحجاج يوسف البلوي _ الطبعة الثانية عالم الكتب بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م جـ ١ صـ ٣٥٣

٤ - هو: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني، أبو الحسن، ولد عام ٣٥٩هـ، تلقبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع. ألف القاضي كتبا كثيرة تعتبر من عمد كتب المعتزلة ومن أبرزها: الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، وتنزيه القرآن عن المطاعن، والمجموع في المحيط بالتكليف، ومتشابه القرآن، وتثبيت دلائل النبوة: وهو من أوسع كتبه في الرد على النصارى، حيث تعرض للرد عليهم في جملة من الموضوعات، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥هـ عن عمر يناهز السادسة والخمسين. انظر للمزيد عن ترجمته: الأعلام:

الذين ألفوا في الرد على الفرق غير الإسلامية، إذ لا نعلم فيمن سبقه من ألّف رسالة مستقلة في الرد سوى القاسم الرسّي [ت ٢٤٦ه] الذي ألف رسالة في الرد على النصارى ، و الجاحظ [ت ٢٥٠هـ] الذي ألف رسالة في الرد على النصارى أيضا.

ثم تبعهم كثيرون مثل: المسبحي «٤٢٠ هـ»: وكتابه درك البغية في وصف الأديان والعبادات، وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة، وابن حزم [ت ٤٥٦هـ]، والجويني [ت٤٧٨هـ]، والغزالي [ت ٥٠٥هـ]، والرازي [ت ٦٠٦هـ]، وابن تيمية [ت ٧٢٨هـ]، وابن القيم [ت ٧٥١هـ] وغيرهم.

لكن أهم ما يميّز ردّ القاضي عبد الجبار أنه يعتبر من أعمق ما كتب عن النصرانية في تاريخ الإسلام، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى شخصية القاضي عبد الجبار وما توفر لها من أدوات بحث كالذكاء الحاد، والبصيرة النافذة، والمعرفة الموسوعية، واستيعاب تراث السابقين من عقائد وفلسفات ومذاهب، وأيضا رسوخ قدمه في الجدل والحوار والمناظرة.

لذلك كلّه جاءت دراسته للنصرانية حافلة، شاملة، مستوعبة معظم قضاياها ومشكلاتها وأطروحاتها في ذلك الوقت. فتراه وأنت تطالع مقالاته في الرد على النصارى ملمّا بالنصرانية عقائدها وعباداتها ومسالكها، فيصف عن حسّ، ويفنّد عن بصيرة، ويمهّد بكليات يشدّها بأدلة من الاستقراء من صحيح المنقول وصريح المعقول، حتى لنستطيع القول إن قوة المحجة، وصدق الحجّة، ودحض الشبهة هي أوضح سمات منهجه، وأبين خصائص نهجه.

الزركلي جـ ٣ صـ ٢٧٣، معجم المؤلفين: كحالة جـ ٢ صـ ٤٦، شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي جـ ٢ صـ ٢٠٢، ٢٠٣طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

"ولأهمية كتابة القاضي في هذا الموضوع، وطرافة الموضوعات التي تطرّق لها، والأسلوب الذي تناولها فيه، كان موضع ثناء العلماء والكتاب متقدّميهم ومحدثيهم، وقد أثنى عليه ابن العماد،وابن شهبة، وابن تيمية "[١] وكتب عنه الشيخ الكوثري في مقدمة " تبيين كذب المفتري: " ولم نر ما يقارب كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار في قوة الحجاج، وحسن الصياغة في دفع شكوك المتشككين "[٢]

وقد دفعني ذلك لمحاولة الوقوف على طبيعة منهجه في دراسة النصرانية، والبحث عن الأصول العلمية والقواعد المنهجية التي اتبعها في دراسته، وبيان الخصائص والسمات المميّزة لمنهجه، ومدى دقة هذا المنهج، وكيف طبّقه ؟ وإلى أي النتائج قاده ؟.

كما دفعني إلى هذا البحث أيضا ذلك التجاهل لجهود القاضي عبد الجبار في حقل الجدل الديني على الرغم من أصالة تلك الجهود، وجدّتها، ودقّتها.

كما دفعني أيضا إلى دراسة هذا الموضوع الحاجة الماسّة إلى الكشف عن المناهج الإسلامية الأصيلة في الردّ على النصرانية المبدّلة، والتي تعين مسلمي اليوم في ردّ غائلة الهجوم التتري لجحافل المنصّرين التي اجتاحت العالم الإسلامي تبيض وتفرّخ فيه، وتبثّ من السموم والأدواء ما يثقل كاهل المسلمين، وتثير من الشبهات والغبار على عقائدهم وشريعتهم ما تخرّ له الجبال هدّا لشدة بهتانه، وكبر إفكه.

---

١ - مقدمة كتاب تثبيت دلائل النبوة: د/ عبد الكريم عثمان طبعة دار العربية _ بيروت بدون تاريخ صـ ى

٢ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري: ابن عساكر _ تعليق: الشيخ الكوثري طبعة مطبعة التوفيق دمشق صـ ١٨ من المقدمة

ولعل من أهم الفوائد لهذه الدراسة التعرف على الصياغة الفلسفية الجدلية الواعية إلى جانب النص القرآني في مناقشة القاضي عبد الجبار للنصارى في عقائدهم مما يبرز قدرة المسلمين في الحوار مع الآخر في عقائده ببصيرة مستنيرة وفهم راشد بعيدا عن التعصب الأعمى.وفي جمع فريد بين النسق الفلسفي والنسق القرآني في وحدة واحدة أفاد من جاء بعده بها.

أيضا من فوائد هذه الدراسة وأمثالها أنها تكشف عن طبيعة العقائد غير الإسلامية التي لا يؤيدها البرهان، حتى باعتراف أصحابها أنفسهم وننقل هنا ما أورده أحد كتاب النصارى وهو الصفي بن العسّال (ت ١٢٦٠م) في كتابه (الصحائح في جواب النصائح)، فهو ينقل عن بولس قوله: " إنا لم ندعكم بحكمة الكلام، وإلا لأبطلنا صلب المسيح "[١]

ثم يدعو النصارى صراحة ألا يتشككوا في عقائدهم حتى ولو خالفت العقل فيقول: " وثمرة هذا الفصل أن نعلم أنه يجب ألا يتزعزع إيماننا لعدم البرهان عليه، أو لمضادة البرهان له، فهكذا قال بولس: لم أبشركم بحكمة الكلام لئلا يتعطّل صلب المسيح " [٢]

وأخيرا نقول إن هذا البحث "يعالج قضية من قضايا الأمس واليوم والغد، ومسألة من مسائل العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما أنه يبرز جانبا من الجوانب الحضارية للإسلام، وخاصة في معالجة ومناقشة

١ - الصحائح في جواب النصائح: الشماس الصفي بن العسال طبعة مطبعة الشهداء ١٤٦٣هـ ص٢١ والنص كما ورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٧ "لان المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر.لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح"

٢ - المرجع السابق: ص٢١ .

المخالفين في الدين من أهل الكتاب " [١]

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثمانية مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية البحث.

وأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه ضبط القاضي عبد الجبار للمذاهب النصرانية.

وأما المبحث الثاني فتناولت فيه مرجعية القاضي عبد الجبار في عرض مذاهب النصارى.

وأما المبحث الثالث : فهو عن نقد التثليث عند القاضي عبد الجبار

وأما المبحث الرابع:فهو عن نقد القاضي عبد الجبار لدعوى صلب المسيح عليه السلام .

وأما المبحث الخامس فتناولت فيه: بيان القاضي عبد الجبار لدور بولس في المسيحية

وأما المبحث السادس:فهو عن مناقشة بعض شبهات النصارى على المسلمين:

وأما الخاتمة فعرضت فيها لأهم نتائج البحث.

* * *

١ - نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة: أحمد علي عجيبة _ طبعة دار الآفاق العربية _ الأولى سنة ٢٠٠٤م ص٣.

المبحث الأول: ضبط القاضي عبد الجبار للمذاهب النصرانية

المطلع على مذاهب النصرانية[١] يلاحظ كثرة مذاهبها، وكثرة مسائلها، وصعوبة وضع ضابط دقيق وعام يشمل كل المسائل ويحدد أصولها وفروعها، وهذا أمر عانى منه كثير من الباحثين والمجادلين الإسلاميين للنصارى قديما وحديثا.

يقول الجاحظ في القرن الثالث الهجري: " ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم في الألوهية.

وكيف تقدر على ذلك ؟ وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأبيه وأمه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده.

وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة الديانة النصرانية كما نعرف جميع الأديان " [٢]

---

١ _ النصارى أمة عيسى ابن مريم _عليه السلام _ سمّوا بذلك نسبة إلى قرية عيسى _عليه السلام _ التي كان ينزلها، وهي المسماة ناصرة، وقيل لتناصرهم فيما بينهم، وقيل لقولهم "نحن أنصار الله" جوابا عن قول عيسى عليه السلام "من أنصاري إلى الله"، وعند التحقيق نجد التعليل الأول والأخير وإن كانا مشهورين إلا أن قواعد اللغة تردهما إذ النسبة إلى ناصرة وأنصار ليست نصارى كما هو معلوم، فلا يصح تعليلا لتسميتهم هذه الا كونهم كانوا يتناصرون فيما بينهم، ولذلك يقول الزمخشري: "النصارى جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة، والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح "انظر التفسير الكبير جـ٣ ص٩٧، وتفسير الكشاف: جـ١ ص١٣٧ تحقيق يوسف الحمادي طبعة مكتبة مصر بدون تاريخ، وانظر أيضا: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي _ تحقيق: د/ بسام علي سلامة العموش _ طبعة مكتبة المنار _ الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ص ٩١، ٩٢

٢ – المختار في الرد على النصارى: الجاحظ _ تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي _ صـ ٢٢ مرجع سابق.

ويقول ابن تيمية عند الكلام على رأي النصارى في المسيح " كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف متناقض، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقول، ولا قول دلّ عليه كتاب، بل هم فرق وطوائف كل فرقة تكفّر الأخرى... ونقل الأقوال عنهم في ذلك مضطربة كثيرة الاختلاف، ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرّقوا على أحد عشر قولا " [١]

والنسطورية ينسبون إلى نسطور، وقد مكث نسطور بطريركا للقسطنطينية شهرين وأربع سنوات، وكان نسطور يقول إن مريم لم تلد إلها بل ولدت الإنسان فقط، ولما قال ذلك كاتبه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك انطاكية ليعدل عن رأيه فلم يصغ إليهما فقررا طرده ولعنه وإقالته من منصبه، ونفيه، فصار إلى مصر، وأقام في إخميم إلى أن مات. انظر: هداية الحيارى صـ ٥٣٦ مرجع سابق، ومحاضرات في النصرانية: الشيخ أبو زهرة صـ ١٤٥،١٤٦ مرجع سابق وانظر للتفصيل عن نسطور والنسطورية تاريخ الفكر المسيحي: الدكتور القس / حنا الخضري طبعة دار الثقافة المسيحية _ القاهرة _ بدون تاريخ جـ ٢ صـ ١٥٠_ ٢٥٣

والملكانية: يذهب الشهرستاني إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى ملكا الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ولذلك كان معظم الروم على هذا المذهب " انظر: الملل والنحل _ تحقيق: محمد فريد طبعة المكتبة التوفيقية _ بدون تاريخ جـ ١ ص٢٢٨. بينما يرى القاضي عبد الجبار أنهم نسبة إلى دين الملك كما سيرد في الصفحة التالية.

أما اليعقوبية فينسبون إلى يعقوب الذي يسمى يعقوب البرادعي لأن لباسه كان خرق برادع الدواب، وقد ولد سنة ٥٠٠م في العراق، وعين في منصب الأسقفية سنة ٥٤٢م ونسب المذهب إليه أنه كان من أنشط الدعاة إليه. انظر للتفصيل حول يعقوب واليعقوبية تاريخ المسيحية الشرقية: عزيز سوريال عطية _ ترجمة: إسحق عبيد طبعة المجلس الأعلى للثقافة الطبعة الأولى ٢٠٠٥م صـ ٢٢٠ _ ٢٢٤ وأيضا: هداية الحيارى: ابن القيم _ تحقيق: محمد أحمد الحاج طبعة دار القلم _ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م صـ ٥٣٤، وأيضا: محاضرات في النصرانية: الشيخ أبو زهرة _ الطبعة الثالثة _ دار الفكر العربي ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ص ١٤٧

١ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية _ تحقيق وتعليق: د/ علي بن حسن بن ناصر، ود/ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ود/ حمدان بن محمد الحمدان _ طبعة دار العاصمة _ الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م جـ ٢ صـ ٣٠٧

الروح فائضة من الآب والابن.

يقول: " والذي اتفقت الفرق الثلاثة عليه: أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، وأن أحد هذه الأقانيم أب، والآخر ابن، والثالث روح القدس، وأن الابن هو الكلمة، والروح هي الحياة، والأب هو القديم الحي المتكلم.

وأن هذه الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية مختلفة في الأقنومية، وأن الابن لم يزل مولودا من الأب، والأب والدا للابن، ولم تزل الروح فائضة من الأب والابن، وليس كون الابن ابنا للأب على جهة النسل، لكن كتولد الكلمة من العقل، وحرّ النار من النار، وضياء الشمس من الشمس " (١)

وأما اتفاقهم في مسألة التجسد فكلهم يقولون: إن الإبن اتحد بالشخص الذي يسمّونه المسيح، وإن ذلك الشخص ظهر للناس، وأن هذا الاتحاد أمر حادث.

وأما اتفاقهم في مسألة الصلب، فقد اتفقت الفرق الثلاث على أن المسيح قتل وصلب.

وأما اختلافهم في هذه المسائل الثلاث فيبدأ بالحديث عن اختلافهم فيما يتعلق بعلاقة الجوهر بالأقانيم الثلاثة ككل، هل الأقانيم هي الجوهر أو غيره ؟

فمنهم من قال: إن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر هو الأقانيم، وهذا قول اليعقوبية والنسطورية، وحكاه بعض الناس عن الملكانية.

وبعض آخر يحكي عن الملكانية: أن القديم جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم، وليس برابع لها في العدد.

ويقولون في الأقانيم إنها جوهر بسيط، ويمتنعون من كونه مركبا.

وحكى بعضهم عنهم: إن الأقانيم هي الجوهر وليست غيره، وإن كان

١ - المغني: جـ٥ ص٨١

الجوهر من حيث هو أقانيم يختص بما لا يختص به من حيث كان جوهرا.

ومثّلوه بالفحمة إذا صارت جمرة، فالجمرة لم تخرج عن كونها فحمة إلا أنها اكتسبت حين صارت جمرة صفة لم تكن عليها وهي فحمة.

وأما اختلافهم في حقيقة الأقانيم الثلاثة فينقل القاضي عبد الجبار عنهم اختلافات ثلاثة:

أولها الاختلاف في حقيقة الأقانيم الثلاثة: فقد قال بعضهم إن الأقانيم هي الخواص (للجوهر)، وقال بعضهم: إن الأقانيم أشخاص، وقال بعضهم: وجوه وصفات. فكأنهم يقولون جوهر واحد له ثلاثة خواص، أو ثلاثة أشخاص.

وثانيها: اختلافهم فيما تتفق فيه الأقانيم، وما تختلف فيه: فقال بعضهم: الأقانيم مختلفة في الأقنومية متّفقة في الجوهرية، وقال بعضهم: لا نقول مختلفة، ولكن نقول: إنها أقانيم ثلاثة متفقه في أنها جوهر واحد فقط.

وثالث الاختلافات بين فرق النصارى في مسألة الأقانيم :هل كل واحد من الأقانيم بانفراده إله حي ناطق ؟ أجاب بعض النسطورية بالإيجاب. وقال الباقون: ليس كل واحد منها عند الانفراد في الذكر إلها، ولا حيا، ولا ناطقا.

وحكى البعض عنهم أنهم قالوا في الأقانيم إنها متغايرة، وأن علمه وحياته هما غيره، وإن كان الجوهر من حيث هو أقانيم يختص بما لا يختص به حيث هو جوهر.

وأما اختلافهم في مسألة التجسد: فيظهر من خلال محاولة الفرق الثلاث الإجابة على أسئلة ثلاث:

السؤال الأول: أنه بعد اتحاد اقنوم الابن بالشخص الإنساني أصبح لدينا كيان فيه عنصران:

العنصر الأول: وهو أقنوم الإله، وله حقيقته الإلهية، ومشيئته الإلهية.

الروح فائضة من الآب والابن.

يقول: " والذي اتفقت الفرق الثلاثة عليه: أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، وأن أحد هذه الأقانيم أب، والآخر ابن، والثالث روح القدس، وأن الابن هو الكلمة، والروح هي الحياة، والأب هو القديم الحي المتكلم.

وأن هذه الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية مختلفة في الأقنومية، وأن الابن لم يزل مولودا من الأب، والأب والدا للابن، ولم تزل الروح فائضة من الأب والابن، وليس كون الابن ابنا للأب على جهة النسل، لكن كتولد الكلمة من العقل، وحرّ النار من النار، وضياء الشمس من الشمس " (١)

وأما اتفاقهم في مسألة التجسد فكلهم يقولون: إن الإبن اتحد بالشخص الذي يسمّونه المسيح، وإن ذلك الشخص ظهر للناس، وأن هذا الاتحاد أمر حادث.

وأما اتفاقهم في مسألة الصلب، فقد اتفقت الفرق الثلاث على أن المسيح قتل وصلب.

وأما اختلافهم في هذه المسائل الثلاث فيبدأ بالحديث عن اختلافهم فيما يتعلق بعلاقة الجوهر بالأقانيم الثلاثة ككل، هل الأقانيم هي الجوهر أو غيره ؟

فمنهم من قال: إن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر هو الأقانيم، وهذا قول اليعقوبية والنسطورية، وحكاه بعض الناس عن الملكانية.

وبعض آخر يحكي عن الملكانية: أن القديم جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم، وليس برابع لها في العدد.

ويقولون في الأقانيم إنها جوهر بسيط، ويمتنعون من كونه مركبا.

وحكى بعضهم عنهم: إن الأقانيم هي الجوهر وليست غيره، وإن كان

١ - المغني: جـ٥ ص٨١

الجوهر من حيث هو أقانيم يختص بما لا يختص به من حيث كان جوهرا.

ومثّلوه بالفحمة إذا صارت جمرة، فالجمرة لم تخرج عن كونها فحمة إلا أنها اكتسبت حين صارت جمرة صفة لم تكن عليها وهي فحمة.

وأما اختلافهم في حقيقة الأقانيم الثلاثة فينقل القاضي عبد الجبار عنهم اختلافات ثلاثة:

أولها الاختلاف في حقيقة الأقانيم الثلاثة: فقد قال بعضهم إن الأقانيم هي الخواص (للجوهر)، وقال بعضهم: إن الأقانيم أشخاص، وقال بعضهم: وجوه وصفات. فكأنهم يقولون جوهر واحد له ثلاثة خواص، أو ثلاثة أشخاص.

وثانيها: اختلافهم فيما تتفق فيه الأقانيم، وما تختلف فيه: فقال بعضهم: الأقانيم مختلفة في الأقنومية متّفقة في الجوهرية، وقال بعضهم: لا نقول مختلفة، ولكن نقول: إنها أقانيم ثلاثة متفقه في أنها جوهر واحد فقط.

وثالث الاختلافات بين فرق النصارى في مسألة الأقانيم :هل كل واحد من الأقانيم بانفراده إله حي ناطق ؟ أجاب بعض النسطورية بالإيجاب. وقال الباقون: ليس كل واحد منها عند الانفراد في الذكر إلها، ولا حيا، ولا ناطقا.

وحكى البعض عنهم أنهم قالوا في الأقانيم إنها متغايرة، وأن علمه وحياته هما غيره، وإن كان الجوهر من حيث هو أقانيم يختص بما لا يختص به حيث هو جوهر.

وأما اختلافهم في مسألة التجسد: فيظهر من خلال محاولة الفرق الثلاث الإجابة على أسئلة ثلاث:

السؤال الأول: أنه بعد اتحاد اقنوم الابن بالشخص الإنساني أصبح لدينا كيان فيه عنصران:

العنصر الأول: وهو أقنوم الإله، وله حقيقته الإلهية، ومشيئته الإلهية.

والعنصر الثاني: هو الإنسان، وهل هو إنسان كلي ليس مثلي ومثلك، أم إنسان جزئي مثلي ومثلك من أفراد الإنسان. والسؤال: هل بقي العنصران في المسيح كما هما دون أن يتغيرا ؟ وبذلك يكون المسيح إلها كاملا له طبيعته الإلهية وإرادته الإلهية، وإنسانا كاملا أيضا له طبيعته الإنسانية ومشيئته الإنسانية.

أم أن أحد العنصرين حدث فيه تغيير، وإذا كان كذلك فما هو العنصر الذي تغير هل هو الإنساني أم الإلهي ؟

وللإجابة على هذا السؤال: رأينا النسطورية تزعم أن المسيح إله وإنسان معا، ماسح وممسوح، اتحدا فصارا مسيحا واحدا، ومعنى اتحدا أنه صار من اثنين واحد.

والمسيح عندهم على الحقيقة جوهران أقنومان: جوهر قديم لم يزل وهو الكلمة التي هي أحد أقانيم الإله في التثليث، وجوهر محدث كان بعد أن لم يكن وهو يسوع المولود من مريم. وربما جعلوا بدل "اتحد" "تجسد"، وربما قالوا "تأنس" و" تركب"

أما فرقة الملكانية فلهم رأي آخر للإجابة على هذا السؤال: حيث ذهبوا إلى أن المسيح جوهران: أحدهما قديم، والآخر محدث، ومنهم من قال إن إرادتهما واحدة، ومنهم من قال إنهما ذو إرادتين.

أما اليعقوبية فزعموا أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين أحدهما جوهر الإله القديم، والآخر جوهر الإنسان اتحدا فصارا جوهرا واحدا، أقنوما واحد، وربما قال بعضهم طبيعة واحدة.

والسؤال الثاني: الذي اختلفت فيه الفرق الثلاث حول كيفية الاتحاد الذي حدث في المسيح، فبعد الاتفاق على أن الاتحاد بين العنصرين الإلهي والإنساني في المسيح أمر حادث، اختلفوا في كيفية حدوث ذلك الأمر الحادث ماهو ؟ وعلى أي

وجه كان ؟

فمذهب النسطورية والملكانية أن الكلمة اتحدت بذلك الإنسان على سبيل الامتزاج، وقال بعضهم: اتخذته هيكلا ومحلا. وقال بعضهم: حلت فيه فدثّرت به وعلى بدنه. وقال بعضهم: مثل ظهور صورة الإنسان في المرآة المجاورة إذا نظر فيها. وقال بعضهم: مثل ظهور نقش الخاتم في الطينة المطبوعة من غير انتقال النقش من الخاتم وحلوله في الطينة. وقال بعضهم: إن الاتحاد في المشيئة فقط.

أما مذهب اليعقوبية فهو أن الكلمة والجسد شيء واحد.

وقد ترتب على هذا الخلاف خلاف آخر حول قدم المسيح وحدوثه: فمن قال بأن الجوهرين صارا جوهرا واحدا، والمحدث صار قديما قال في المسيح إنه قديم، ومن قال في معنى الاتحاد بالوجه الآخر قال في المسيح أنه لاهوت وناسوت (أي قديم في العنصر الإلهي حادث في العنصر الإنساني)، وحكى القاضي عن البعض أنه قال: أن المسيح قديم من جهة محدث من جهة أخرى.

والسؤال الثالث الذي اختلفت إجابته بين الفرق هو عن المولود من مريم ماهو ؟ هل هما العنصران معا ؟ وبذلك تكون مريم أم الإله والإنسان ؟ أم أن المولود منها هو العنصر الإنساني فقط ؟ وبذلك تكون مريم أم الإنسان لا أم الإله؟

فقد رأت الملكانية وأكثر اليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله، ونقل القاضي عنهما أنهما يقولان: مريم ولدت إلها، ولا يقولون: ولدت الإله لأنه يوهم أنها ولدت الأقانيم الثلاثة.

بينما رأت النسطورية أن المسيح مولود من جهة العنصر الإنساني غير مولود من جهة العنصر الإلهي.

"ويلاحظ على ضبط القاضي عبد الجبار لمذهب النصارى أن القاضي قرأ كثيرا من كتب النصارى، والكثير من الكتب التي تحدثت عن مذاهبهم، وأنه وقف

بعقله كثيرا أمام هذه المذاهب يحاول أن يستنبط الأسس والأصول التي يصوّر المذاهب النصرانية على ضوئها.

ورغم تناقضات الأفكار النصرانية فقد حاول القاضي أن يضع لها خط سير منطقي يبدأ بأفكار الفرق الثلاث في التثليث فيما اتفق فيه أولا ثم فيما اختلف فيه، ثم يسير الخط المنطقي إلى التجسد فيذكر ما اتفق فيه أولا، ثم الاختلاف في تكوين المسيح، والاتحاد والصلب، والمولود من مريم "[١]. وهكذا.

وهذا العرض من القاضي عبد الجبار يبرز منهجه في مواجهة الخصوم ، ويبين الأسس في مجادلة أهل الكتاب، فكما يقول القاسم الرسي (ت ٢٤٦ه)_ بحق _ " لا بد لمن أنصف خصما في منازعته له، ومجادلته من ذكر ما يرى الخصم أن له حجة من مذهبه ومقالته، فإذا ذكر ذلك كله، بان ما فيه، عليه وله، فكان ذلك لباطله أقطع، وفي الجواب له أبلغ وأجمع.

والنصارى هم خصماؤنا في الله، فلا بد من تبيين ما افتروا فيه على الله، وهم ممن قال الله فيهم « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم »[٢] ومن الذين قال الله فيهم « هذان خصمان اختصموا في ربهم »[٣] فهم في هذا كغيرهم من كفرة الأمم.

فليفهم، من قرأ كتابنا هذا، ما نصفه فيه من قولهم، فنصفه، بما يعلمه علماء كل فرقة منهم، إن شاء، ونعرّفه ونستقصي لهم فيه كله ما استقصوا لأنفسهم

١ _ النقد الأعلى للكتاب المقدس: د/ قنديل محمد قنديل _ دار الطباعة المحمدية _ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ /١٩٨٩م صـ ١٩٧بتصرف يسير.

٢ – سورة الحج: الآية ٣، ٨ وسورة لقمان: الآية ٢٠

٣ – سورة الحج: الآية ١٩

من المقال "[١]

ويقول: "ولا بد لنا ولكم من الإنصاف فيما وقع بيننا وبينكم من الاختلاف، فإن نحن تناصفنا أتلفنا، وإن فارقنا التناصف اختلفنا ثم لم يعد أبدا الأتلاف إلا بعودة منا إلى الإنصاف، والتناصف هو الحكم العدل، بعد الله، بين المختلفين، والسقاء الشافي الذي لا شفاء أبدا في غيره للمتناصفين "[٢]

* * *

١ – رسالة الرد على النصارى: القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي _ تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله _ طبعة دار الآفاق العربية _ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ص٣٢

٢ – رسالة الرد على النصارى _ القاسم الرسي _ صـ ٤٢ مرجع سابق.

المبحث الثاني: مرجعية القاضي عبد الجبار في عرض مذاهب النصارى

للقاضي عبد الجبار مرجعية موثقة في نقد عقائد النصاري، فهو يرجع إلى كلامهم، وكتبهم، أما رجوعه إلى الأناجيل المعتمدة لديهم، فهذا مما لا شك فيه، وسنرى هذا كثيرا في هذا البحث، فهو يعرض لنصوص كثيرة من الأناجيل، وقد أوردنا نصوص الأناجيل في طبعاته الحديثة ليقارن القارئ بنفسه ويرى مدى دقة القاضي في الرجوع إلى كتب النصارى.

فهو يقول: " واعلم رحمك الله أن هذه الطوائف الثلاث من النصارى لا تعتقد أن الله أنزل على المسيح إنجيلا ولا كتابا بوجه من الوجوه، بل عندهم أن المسيح خلق الأنبياء، وأنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الملائكة، وإنما معهم أربعة أناجيل لأربعة نفر، كتب كل واحد منهم إنجيله في زمانه، وجاء من بعده فما رضي إنجيل غيره، وكان إنجيله أولى، وهم يتفقون في مواضع ويختلفون في مواضع، وفي بعضها ما ليس في بعض، وهي حكايات قوم رجال ونساء من اليهود والروم وغيرهم أنهم قالوا كذا، وفعلوا كذا، وفيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين شيء كثير، وقد تتبعه الناس وأفردوه، وإذا قرأه المتأمل عرف ذلك، وفيها شيء من كلام المسيح ووصاياه وأخباره قليل.

فإنجيل منها عمله يوحنا، وإنجيل منها عمله متى، ثم جاء بعدهما مرقس فما رضي بإنجيليهما، ثم جاء بعدهم لوقا، فما رضي بتلك الأناجيل فعمل إنجيلا آخر، وكان عند كل واحد من هؤلاء أن صاحبه الذي تقدم وعمل إنجيلا أنه قد ضبط أشياء وأخل بأشياء، وغيره أعرف وأضبط، ولو كان من قبله قد ضبط وأصاب لما احتاج أن يعمل هو إنجيلا آخر غير إنجيل صاحبه، وليس أحد هذه الإناجيل شرحا للآخر، كما يشرح من تأخر كتاب من تقدم فيحكي كلامه على وجهه، ثم يشرحه.

فاعرف هذا، وإنما وضعه لأن غيره قد قصر "[١]

هو أيضا يعتمد على كتاب يسمى (أفراسكس) يقول: " وحديث انتقالهم في كتابهم المعروف بأفراسكس، وفي السنهودس الذي لهم " [٢]ويقول: " قد بينا ما في الأناجيل، وفي أفراسكس من وصايا المسيح بالتوراة "[٣]وقد بحثت طويلا في كتب النصارى، وكتب الملل والنحل فلم أجد كتابا يحمل أيا من الاسمين (أفراسكس _سنهودس)، لكني وجدت ذكرهما عند ابن النديم في الفهرست فهو يقول عندما يتكلم عن كتب النصارى " كتاب الحواريين ويعرف بفراكسيس.... ولهم كتب في الفقه والأحكام لجماعة منهم فمن ذلك كتاب سيهودس المغربي والمشرقي ، وكل واحد منهما يحتوي على عدة كتب في الأحكام " [٤].

وكذلك وجدت في كتاب المهتدي علي بن ربّن الطبري " فمن ذلك ما في كتاب فراكسيس وهو رسائل الحواريين " [٥]

كما يعتمد على ما كتبه السابقون من العلماء المسلمين في الرد على النصارى يقول: " فأما المسألة لهم والرد عليهم فكثير. فمن ذلك كتاب الجاحظ، وكتاب آخر له يعرف بالرسالة العسلية، ولأبي جعفر الإسكافي، ولأبي بكر أحمد بن علي بن الأخشيد قطعة حسنة في كتاب المعونة، لأبي عيسى الوراق كتاب عليهم،

---

١ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص١٥٥،١٥٤

٢ - المرجع السابق: جـ١ ص١٩٤

٣ - المرجع السابق: جـ ١صـ١٩٥

٤ الفهرست: ابن النديم _ تحقيق: رضا تجدد بن علي زين العابدين _ طبعة طهران طبعة خاصة بالمحقق جـ ١ صـ ٢٦

٥ - الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد _ صلى الله عليه وسلم _: علي بن ربّن الطبري _ساعده فيه: الخليفة العباسي المتوكل على الله _ حققه وقدم له: عادل نويهض _ طبعة دار الآفاق الجديدة _ بيروت الأولى ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م صـ٥٢

ولأبي علي كتاب عليهم، ولأبي هاشم مسألة في البغداديات، وفي أصول ابن خلاد، وفي شرحه، وفي الإيضاح لأبي عبد الله البصري _ رحمة الله عليهم أجمعين _ كلام عليهم "[١]

وقد نقلنا قبل ذلك ما ذكره القاضي في شرح الأصول الخمسة: " اعلم أن مذهب النصارى لا يكاد يتحصل على ماذكره النوبختي في كتاب " الآراء والديانات، وكفى بالمذهب فسادا أن يصعب على العلماء ضبطه، خاصة على مثل هذا الرجل، فقد كان المشار إليه في معرفة المذاهب " [٢]

ومن الجميل أن القاضي عبد الجبار يعتمد في حكاية تعاملات النصارى على أحاديث سمعها شخصيا ممن عاشوا بين النصارى فيقول: " وقد تحدث مصبح الطائي، وأبو عبد الله الحسين بن الصقر، وعبد الرحمن صاحب ابن الزيات، وغيرهم من الغزاة، وممن أقام بالقسطنطينية السنين الكثيرة في الأسر، وغير الأسر، فإنهم لطول الشقاء، وعدم من بعثت المسلمين في فداء أو غزو، أظهروا النصرانية تقية، وانتشروا بينهم، واختلطوا بهم، فحدث من حدث منهم"[٣].

بل هو يصف حال النصارى الذين خالطهم في بلاد المسلمين من مشاهدة شخصية لهم، وتتبع لأحوالهم، ويذكرهم بأسمائهم ليدلل أحيانا على فكرته فنراه في بعض المواضع يقول: " فهذا يرحمك الله أصل مذهب النصرانية، ومذهب القراء والزهاد منهم، فأما أهل الجدل والنظر ومن يتجرد في نصرة النصرانية، ويصنف الكتب في ذلك فكلهم ملاحدة وزنادقة، ويكذبون المسيح، وجميع الأنبياء عليهم السلام، ويستجهلون الشرائع، ومن يعمل بها فلا تكاد تجد فيهم إلا من هذه سبيله،

١ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار جـ١ صـ ١٩٨

٢ – شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار _ جـ١ صـ٢٩١ مرجع سابق.

٣ – المرجع السابق: جـ١ صـ ١٧١

مثل: قسطا بن لوقا، وحنين بن إسحق، وإبنه إسحق، وقويري، ومتى الجرمقاني، وهو المكنى أبو بشر بن يونس الذي فسّر كتب الملحدة، وهلك في سني نيف وعشرين وثلثمائة،وبعده يحيى بن عدي "[١]

وإذا أردنا أن نأخذ مثالا تطبيقيا يؤكد دقة وعمق القاضي عبد الجبار في نقله لمذهب النصارى فإننا نورد ما ذكره القاضي في حكاية إلهيات النصارى.

فهو يؤكد أن إلهيات النصارى ترجع إلى ما قرره قانون الإيمان بنيقية [٢]الروم، أو كما يسميها تسبيحة الإيمان [٣]، فيه أوضحوا ما يلزم كل مسيحي أن يعتقده، وإن أخل بواحد منها فليس من المسيحية في شيء يقول في ذلك: " يقولون في تسبيحتهم التي يسمونها (تسبيحة الإيمان) التي وضعت بنيقية من بلاد الروم... فكان تقريرهم لهذه التسمية هي أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف، ولا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها، وهي:

١ – نؤمن بالله الأب الأحد، خالق مايرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر

١ – المرجع السابق: جـ١ صـ ١٩٣،١٩٢

٢ – في معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة صادر صـ ٣٣٣: نيقية من أعمال اسطنبول على البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع فيها آباء الملة المسيحية، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أبا يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة.ويطلق على مدينة نيقية اليوم اسم " إزنيق " وهي بلدة صغيرة في تركيا عقد فيها المجمع النصراني الأول سنة ٣٢٥ م الذي لعن " آريوس" العالم النصراني الموحد، وحرمه، وطرده من حظيرة الكنيسة، ووضعت في هذا المجمع (الأمانة) أو قانون الإيمان الخاص بالنصارى الذي ينقله القاضي عبد الجبار والذي أقر فيه النصارى بألوهية المسيح، كما أقروا فيه أشياء أخرى:انظر خبر هذا المجمع بالتفصيل في تاريخ ابن البطريق جـ١ صـ ١٢٦، وتاريخ ابن العبري صـ ١٣٦ وانظر أيضا: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات: محمد عبد الله الشرقاوي _ طبعة دار الجيل بيروت _ الثانية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م صـ ٣٢

٣ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار جـ ١ ص٩٣، ٩٤

أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء.

٢ _ الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم البتول، وصار إنسانا، وحبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب وقتل أمام فيلاطس الرومي، مات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

٣ _ ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه.

٤ _ وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة قدسية سليحية جاثليقية[١]، وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين آمين "[٢]

والتسبيحة التي ذكرها القاضي عبد الجبار لا تكاد تختلف عن القانون النيقوي القسطنطيني، المتبلور عن مجمع القسطنطينية، الذي انعقد بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٨١م، وقد صدقه مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ونص القانون النيقاوي كما ورد في كتب النصارى :

" دستور الإيمان النيقاوي

١ _ نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل شيء، كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، ومن جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء ما في السماء، وما على الأرض.

---

١ - السليحية: في الفهرست لابن النديم جـ ١: ٢٦ " كتاب بولس السليح أربعة وعشرون رسالة، ولعل نسبة السليحية إليه،ـ والجاثليقية: كلمة يونانية معناها: متقدم الأساقفة. انظر المنجد صـ ٧٩

٢ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار: جـ١ صـ ٩٣، ٩٤

٢ _الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب. وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء.

٣_ و نؤمن بالروح القدس، وكل من يقول إنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنه قبل أن يولد لم يكن، أو أنه خلق من العدم،أو أنه من جوهر مختلف عن جوهر الأب أو طبيعته، أو أنه مخلوق، أو أنه عرضة للتغير والتبدل فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل من يقول هذه الأقوال " [١]

" ويظهر من المقارنة بين صيغة النصارى وصيغة القاضي عبد الجبار أنهما تكادان تكونان واحدة، فألفاظهما جد متقاربة "[٢]

ويظهر من المقطعين الأول والثالث من التسبيحة التي نقلها القاضي عبد الجبار أن النصارى تعتقد في ألوهية كل من الآب والابن والروح القدس، وتسمي كل واحد منهم أقنوما، وتعتقد أن ثلاثتها إله واحد يقولون: " إنه تعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم: أقنوم الأب يعنون به ذات البارئ عز اسمه، وأقنوم الابن أي الكلمة، وأقنوم روح القدس أي الحياة، وربما يغيرون العبارة يقولون: إنه ثلاثة أقانيم ذات، وهو واحد "[٣]

وقد زاد القاضي عبد الجبار هذا المعتقد تفصيلا في كتابه (المغني) بقوله:

---

١ - مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة): جمع وترتيب وتنسيق: الأرشمندريت / حنانيا إلياس كساب، مع توطئة للبطريرك إلياس الرابع طبعة مطبعة النور _ بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٨م صـ ٤٣ وأيضا: علم اللاهوت النظامي: القس جيمس أنس _ راجعه ونقحه:الدكتور القس / منيس عبد النور فصل ٨ س٤

٢ - المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي: د/ عبد الحكيم بن الشريف فرحات _ طبعة دار الفكر الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م صـ٢٦

٣ - شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ٢٩١

"إن مذهب جميع النصارى إلا نفرا منهم يسيرا، أن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم، ومنهم من يقول في الحياة إنها قدرة. وزعموا أن الله وكلمته وقدرته قدماء، وأن الكلمة هي الابن، وهي عندهم المسيح، الذي ظهر في الجسد الذي كان في الأرض، ويختلفون في الذي يستحق اسم المسيح، فمنهم من يقول إنه الكلمة والجسم إذا اتحد بعضهما ببعض، ومنهم من يزعم أنه الكلمة دون الجسد، ومنهم من يزعم أنه الجسد المحدث، وأن الكلمة صارت جسدا محدثا لما صارت في بطن مريم، وظهرت للناس، ويزعمون جميعا أن الكلمة هي الابن، وأن الذي له الروح والكلمة هو الابن. ويزعمون أن هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأنها من جوهر واحد"[١]

وبذلك يتضح أن القاضي عبد الجبار كان يرى أن النصارى تعتقد أن الله آب وحي ومتكلم، كل واحد من هذه الثلاثة يدعى أقنوما: فالآب أقنوم، والكلمة أقنوم ثان، والحياة أقنوم ثالث، وثلاثتها جوهر واحد، تشترك في الجوهرية والكينونة، إلا أن الآب هو المصدر، ولذا قيل: " ابن الله بكر أبيه"[٢] كما أن الروح القدس قد صدر من الآب بالانبثاق الأزلي بغير انقطاع، وبكل خواصه وصفاته، ولكل واحد من هذه الأقانيم ما للآخر من الخواص الجوهرية سوى الأقنومية، " فالله الوالد ليس هو الابن المولود " ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابنا مولودا، ولا الابن المولود أبا والدا، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى "[٣]

وإذا قارنا هذا بما يقوله النصارى في كتبهم، نجد أن ما ذكره القاضي من

١ - المغني: القاضي عبد الجبار _جـ٥ صـ٨٠

٢ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص٩٤

٣ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ٩٣

تحليل هو ما أكدته كتب النصارى فهم يقولون " لكل من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية، إلا ما كان خاصا بالأقنومية، ويستحق كل منهم العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة "[١]

وكلهم يؤكدون أن " الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد، وهكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد "[٢]

* * *

١ - علم اللاهوت النظتمي: جيمس _ فصل ٨ س٤

٢ - المرجع السابق: فصل ٨ س ٤،فصل٣٧ س ٦-٩، فصل ١٣ س ١٥- ١٩، وفصل ٤٩ س٨

المبحث الثالث : نقد القاضي عبد الجبار للتثليث

عقيدة التثليث من الأصول الجامعة بين جميع فرق النصارى، لا يختلف فيها اثنان منهم، فالأصل المتفق عليه بين الطوائف المسيحية أن الله جوهر واحد، له ثلاث خواص، هي الأبوة، والبنوة، والروح القدس، وكل واحد من الثلاثة هو الإله، ولكن ليس ثلاثة آلهة.

وترجع أهمية هذه العقيدة عند النصارى أنها متصلة بذات الله _ تعالى _ فمعرفتها هي معرفة الله، يقول القس / توفيق جيد: " إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية، وأساسها كلها، لأنها تتصل بذات الله، فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله " (١)

يقول القاضي عبد الجبار: " إن القول بالتثليث هو القول بثلاثة آلهة، وما ذلك إلا كمن قال: عبد الله العربي، رجل وإنسان، وجسم، وشخص، وخالد الفارسي رجل وإنسان وجسم وشخص، وزيد الرومي رجل، وإنسان، وجسم وشخص، قلنا فهؤلاء ثلاثة رجال، وثلاثة أناس، وثلاثة أشخاص، وثلاثة أجسام، فقلتم: لا بل هو رجل واحد، قلنا لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة في شيء قد أشيعت حقيقته " (٢)

ويناقش ما جاء في إنجيل متى عندما عمّد يوحنا المسيح " وتعمّد يسوع وخرج في الحال من الماء وانفتحت السماوات له، فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه، وقال صوت من السماء هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيت" (٣)

---

١ – الله واحد أم ثالوث ؟: محمد مجدي مرجان _ طبعة دار النهضة العربية _ القاهرة _ بدون تاريخ _ صـ ١٢

٢ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار جـ ١ ص٩٥

٣ – متى ٣: ١٦،١٧، والنص كما ورد في النسخة الحالية " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء "

يقول: " قالوا: فالمتعمد هو الله الابن، والمنادى هو الأب، والنازل هو روح القدس، وانظر كيف يفرّعون كل واحد منهم بصنع غير صنع صاحبه "(١)

ثم قال رحمه الله مستغربا ومتعجبا ومستنكرا في الوقت نفسه هذا التناقض والتعارض كيف يتم قبوله والتسليم به " فهذا _ يرحمك الله_ كما ترى وتسمع، فلولا أن رأينا قوما عقلاء يقولون هذا، وسمعناه منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد، وأخرجوه من غوامض أسرارهم لما صدّق الناس أن في الدنيا من قال هذا أو نطق به، وإذا تأمل الباحث العاقل الأمور وفتش وطال بحثه وجهده رأى الجهل في الأمم والأقاويل المشتملة على الحمق كانت في الأمم قبل الإسلام " (٢)

ويرجع القاضي عدم تصريح النصارى بالتثليث إلى تأثرهم بكتب الله عز وجل التي صدّق بها المسيح عليه السلام فيقول: " والذي يمنع النصارى من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة، وإن كانوا قد أعطوا معنى ذلك، إلا أنهم صدقوا بكتب الله التي صدق بها المسيح عليه السلام، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفرده بالقدم، وأنه لا يشبه الأشياء، وإنما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح، فأرادوا حمل بدعتهم في الشرك على ما في كتب الله فلم يتم لهم ذلك، وحصلوا على محض الشرك والتشبيه " (٣)

ويناقش القاضي عبد الجبار استدلال النصارى على قولهم بالتثليث بالشمس،

ولوقا ٣: ٢١ والنص " ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا "، يوحنا ١:٣٢، ٣٣ والنص " وأنا لم أكن أعرفه. لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء "

١ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ ١٠١

٢ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص١٠٥

٣ – المرجع السابق: جـ ١ ص٩٥

وأنها شيء واحد له ثلاث معان، ويعتقدون أن هذا دليل عقلي قوي وحجة دامغة في الاعتقاد بالتثليث، وهذا بالطبع تمويه لا يصح، لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس، وكذلك حرّها لا يحد بحد الشمس ، فقياس التثليث على الشمس قياس باطل .

يقول القاضي عبد الجبار: " وقد اعتمد بعضهم في تمثيل قوله بالتثليث بالشمس والضوء، وأنهما شخصان يجمعهما جوهر واحد، يتفقان في الجوهرية ويختلفان في الشخصية، وكذلك القديم الذي هو أقانيم ثلاثة تتفق في الجوهرية، وتختلف في الأقنومية والشخصية، وهذا بعيد، لأنّ ضياء الشمس غير الشمس، وصفته تخالف صفته، وبعضه غير بعضه، وذلك لا يصح عندهم في الأقانيم"[١]

وقد استفاد من هذا الرد كثير ممن جاء بعد القاضي يقول ابن تيمية: " وتمثيلهم بشعاع الشمس تمثيل باطل، وهو حجة عليهم لا لهم. فإن الشعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائم بذات الشمس، والقائم بذات الشمس ليس هو قائما بالهواء والأرض. فإن قالوا: بل ما يقوم به من العلم يفيض منه على قلوب الأنبياء علوم، كما يفيض الشعاع من الشمس. قيل لهم: لا اختصاص للمسيح بهذا، بل هذا قدر مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، وليس في هذا حلول ذات الرب ولا صفته القائمة به بشيء من مخلوقاته، ولا أن العبد بما حل فيه من العلم والإيمان يصير إلها معبودا "[٢]

ومن الأدلة العقلية التي رد بها القاضي عبد الجبار على عقيدة التثليث دليل التسلسل، وقد أبدع في ذلك بكلام طويل منه قوله: " وقد ألزمهم شيوخنا القول بأن كل واحد من الأقانيم إله، لأنه إذا كان الابن والروح مشاركين للأب في القدم، فما

١ - المغني: القاضي عبد الجبار جـ ٥ ص١٠٣

٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية _ الجزء الثالث ص٢٩٦ مرجع سابق

أوجب كونه إلها يوجب كونهما إلهين، وكون كل واحد فيهما إلها يبطل أصل مقالتهم، لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن القديم الفاعل إذا استحال كونه حيّا إلا بحياة، عالما إلا بعلم، وجب إثبات أقنومين كلمة وروح، فإذا أوجب بما ذكرناه كون كل واحد من ذلك إلها بطل هذا الطريق، ووجب أن نثبت لكل واحد من الأقانيم أقنومين آخرين، ويجب في كل واحد منهما مثل ذلك أيضا، وهذا يوجب إثبات آلهة لا نهاية لها "[١]

وكذلك نجد الإمام الألوسي يجيب عن قياسهم تولد الابن من الأب على تولد الشعاع من الشمس بمثل ما أجاب به القاضي عبد الجبار [٢]

ثم يرد القاضي عبد الجبار على من أنكر من النصارى أن معنى الأقانيم هو القول بثلاثة آلهة فيقول: " فإن قالوا: لا يلزمنا على قولنا بالأقانيم الثلاثة إثبات ثلاثة آلهة، لأننا نقول إنها ثلاثة أقانيم وأنه جوهر واحد في الحقيقة، وإنما يلزمنا ذلك لو أثبتناها متغايرة وأثبتنا الجوهر غيرها.

قيل له: إن كل كلام تُوصّل به إلى الفساد في المذهب به من حيث المعنى لا من حيث العبارة فاختلاف العبارات عنه في أنه لا يؤثر فيه كاختلاف العبارات بحسب اختلاف اللغات عن المذهب الفاسد في أنّ ما يفسد به لا تتغير حاله "[٣]

ويناقش القاضي عبد الجبار شبهة أخرى من شبههم وهي قولهم: إن الآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأبعاض الكثيرة إنسانا واحدا وذاتا واحدة، وليس في ذلك تناقض. يقول ردّا على ذلك: " إننا نثبت آحاد العشرة متغايرة في الحقيقة، ونصفها

١ - المغني: القاضي عبد الجبار جـ ٥ ص٨٧، ٨٨، ٩٣

٢ - الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح: الإمام الألوسي البغدادي _ تحقيق: أحمد حجازي السقا _ طبعة دار البيان العربي _ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م ج ١صـ ١٦٠

٣ - المغني: القاضي عبد الجبار جـ ٥ صـ ٨٨

بقولنا عشرة لتتبين بهذه الجملة من سائر الأعداد وجملها، ونقول واحدة لنبين أنه من هذه الجملة مرة واحدة، وليس في ذلك تناقض إذا وقعت على المعاني التي أوردناها، وليس يصح ذلك لكم، لأنكم لا تثبتون الأقانيم متغايرة، ولا تفيدوا بقولكم جوهر واحد أنها جملة واحدة " [١]

ويطيل القاضي عبد الجبار في بيان التناقض الشديد الذي يتضمنه التثليث فيقول: " إن الذي ادّعيناه عليهم من التناقض أردنا به تناقض المعنى، وأنه لا يصح اعتقاده، ندعيه على من قال في الشيء الواحد أنه موجود معدوم، وفي الجوهر الواحد أنه أسود وأبيض، وهذا لا يصح اعتقاده.

وما لا يصح اعتقاده لم يكن للتشاغل بإفساده وجه، لأنا إنما نتوصل بالشيء إلى إفساد ما يصح أن يعتقد لنزيل به المعتقد عن اعتقاده، فأما ما قد علمنا أن اعتقاده غير ممكن فلا وجه لطلب أمر يزال به " [٢]

ويشبه القاضي عبد الجبار النصارى بالثنوية من خلال قوله: " على أنه يجب على قولهم أن تكون الأقانيم جوهرا، لأن إثبات ما ليس بجوهر قائم بنفسه لا يصح عندهم.

فيجب أن يقولوا: إن الأقانيم جوهر، والجواهر جوهر آخر، وهذا يوجب عليهم إثبات جوهرين هما الإله، وفي ذلك نقض النصرانية.

ويقال لهم عند ذلك: أيتفقان أم يختلفان ؟ فإن قالوا: يتفقان، فلم صار أحدهما أقانيم دون الآخر، وإن قالوا: يختلفان لزمهم إثبات قديمين مختلفين جوهر أحدهما مخالف الجوهر الآخر.

---

١ - المرجع السابق: جـ ٥ صـ ٨٩، ٩٠

٢ - المرجع السابق: جـ ٥ صـ ٩٠، ٩١ بتصرف يسير

وهذا يضارع قول الثنوية، وإن قالوا في الأقانيم أنها ليست بجواهر، تركوا قولهم أن كل واحد من الأقانيم جوهرا واحدا " [١]

ومن أهم ما قاله القاضي عبد الجبار _ رحمه الله _ حول مسألة التثليث إشارته إلى أن التثليث عقيدة وثنية قدمت إلى النصارى من الروم الوثنيين، وأن النصرانية هي التي ترومت وليس العكس، يقول: " والروم هم الأصل في هذه الطوائف الثلاث من النصارى "[٢]

ويقول: " وهذا التثليث الذي للنصارى قد كان فلاسفة الروم تنحو نحوه من أن العقل والعاقل والمعقول تصير شيئا واحدا "[٣]

وقد وجدت للقاضي عبد الجبار تسمية النصارى باسم المثلثة فهو يقول: "ومن صار إليه خرج عن النصرانية، وعن جميع أقوال المثلثة " [٤]

وإذا كان القاضي عبد الجبار قد نقد التثليث، والاتحاد، وغيرها بالعقل، وبالنصوص الإسلامية، فإنه أيضا قد أبدى اهتمامه بقراءة أناجيل العهد الجديد، واستخدمها لتأكيد التوحيد، وإثبات التحريفية التي انبثت في صفوف المسيحية، وذاعت في عقيدتها.

وللأناجيل عند النصارى قدر عظيم، ومكانة عالية، فمكانها عندهم مكان القطب والعماد، فإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية.

والرجوع إلى كتبهم هو عمل منهجي يقتضي الرجوع إلى أقوال الخصم

---

١ - المرجع السابق: جـ ٥ صـ ٩٨

٢ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص١٦٤

٣ - المرجع السابق: جـ ١ ص١٦٩

٤ - المرجع السابق: جـ١ ص٩٧

والتثبت منها، للأمانة في النقل، وعدم نسبة قول ليس إليهم.

يقول القاضي عبد الجبار في ردّ قضية التثليث: " بل إن الإنجيل الذي بين يدي النصارى يكذب ذلك، حيث جاء فيه: (وسأله "يسوع " أحد الوجهاء: أيّها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فأجابه يسوع: لماذا تدعوني صالحا، لا صالح إلا الله وحده)"[١][٢]

ورغم ذلك فإن اعتراضات المسيحية تقول أنه قال لتلامذته: (سيروا في الأرض وعمدوا العباد باسم الآب والابن وروح القدس) وجواب القاضي على هذا الاعتراض "أن المسيح لم يكن أول من كذب عليه، وأنتم تعلمون أن " ماني " القس يدّعي التحقيق بالمسيح، وأنه من أتباعه، وأنه ليس أحد على شريعته ووصاياه إلا هو وأتباعه، وأن الإنجيل الذي معه هو إنجيله. وهو يذكر عنه أنه كان يحرّم على الناس كلهم وعلى نفسه النساء وذبائح الحيوان، وأكل اللحمان، وأن هذا ما حل قط ولا يحل. ويلعن كلّ من أحلّه. وأنه كان تبرأ من إبراهيم وموسى وهارون ويوشع وداود، ومن كان يرى ذبح الحيوان وأذيته، وأكل اللحمان وغير ذلك. ويستشهد على ذلك بمواضع من الأناجيل التي معكم، وعندكم أنه قد كذب على المسيح وافترى وأخطأ فيما تأول، وأن تزكية المسيح لهؤلاء الأنبياء أمر ظاهر لا ينصرف عنه التأويل.

قلنا فهذه سبيلكم في دعاويكم على المسيح، وأنتم في هذا أشدّ فضيحة من المنّانية لا أن تصديق المسيح للأنبياء، وشهادته بما شهدوا به من توحيد الله وإفراده بالقدم والربوبية والحكمة أبين من كل بين، وأوضح من كل واضح.

---

١ – لوقا ١٨: ١٨،١٩ والنص كما ورد في النسخة الحالية " وسأله رئيس قائلا أيها المعلم الصالح ماذا اعمل لإرث الحيوة الأبدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله "

٢ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ ١٩

والعقلاء يردّون المجهول بالمعلوم، وما التبس بما اتضح، وما يحتمل بما لا يحتمل، وقد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الأنبياء محتملة يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة فيقولون إنما أراد إبراهيم وموسى وهارون وسائر الأنبياء ما أردناه من أن الله ثالث ثلاثة، وأن الأرباب جماعة "[١]

ويستدل القاضي عبد الجبار على مسألة التوحيد الأساسية من خلال نقول من الأناجيل منها مثلا ما ورد في أناجيلهم (إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح)[٢] فهذه النصوص تدل على التوحيد المحض، وفيها تصريح لا يقبل التأويل بأن عيسى _عليه السلام رسول من عند الله وليس

إلها كما تقول النصارى، وهو حجة دامغة على النصارى.

يؤكد ذلك أيضا أن المسيح قال لبني إسرائيل (تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله)[٣]

ويعلن أنه مرسل (اني لم أجئ لأعمل بمشيئة نفسي، ولكن بمشيئة من

---

١ – المرجع السابق: جـ١ صـ ١١٤، ١١٥

٢ – يوحنا ١٧: ٣ والنص كما ورد في النسخة الحالية: " وهذه هي الحيوة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته " وأيضا: يوحنا ١٢: ٤٤، ٤٥. والنص كما ورد في النسخة الحالية " فنادى يسوع وقال. الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني " ١٧: ٣ والنص كما ورد في النسخة الحالية: "وهذه هي الحيوة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته "

٣ – يوحنا ١٨: ٣٧ والنص كما ورد في النسخة الحالية " فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك. أجاب يسوع أنت تقول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي "

أرسلني)[١] وإذا أقر المسيح بأنه مرسل من قبل الله لبني إسرائيل (إن الكلام الذي تسمعونه مني ليس هو لي ولكن من أرسلني...) [٢] مؤكدا التوحيد (إن الله مسحني وأرسلني، وإني أعبد الله الواحد ليوم الخلاص) وإذا سئل عن قيام الساعة أجابهم (أنا لا أعلم متى ذلك، ولا أحد من البشر، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده).وفي وقت مبكر في حياة المسيح رفض أن يخاطب بكلمات الألوهية وصفاتها، فحين قال له رجل: يا أيها الخير علمني، قال له: (لا تقل لي هذا، فإنه لا خير إلا الله)[٣]

ويذكر القاضي أن المسيح كان إذا ذكر البعث، والقيامة والحساب يكون منه البكاء، والقلق، والجزع، وما لايكون من أحد، والذي يسقط دعوى المسيحية في ألوهية المسيح، ومقالاتهم فيه أنه كان يقرّ على نفسه بالعبودية والضعف والحاجة والفقر والفاقة، ويقر لله بالغنى والربوبية.

ويقول: " فلو تأمل النصارى لعلموا أنهم ليسوا على شيء من هذه الأناجيل التي معهم، ولا معهم علم مما يدعيه أربابها، والواضعون لها، وأن الأمر في ذلك على ماذكرنا " [٤]

ونؤكد هنا أن استخدام القاضي عبد الجبار لهذه الكتب في الرد على أصحابها ليس من باب التسليم بصحة كل ما جاء فيها، وإنما كان من باب الإلزام لأصحابها أو على حد قول الإمام القرافي " فإن قالوا: كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي غير صحيحة عندكم ؟ قلنا: نبوة نبينا _ عليه السلام _ ثابتة بالمعجزات، غنية

١ - يوحنا ١٨: ٣٧ وقد أوردنا النص في الهامش السابق ولعل استشهاد القاضي بقوله لأشهد للحق

٢ - يوحنا١٤: ٣٤ والنص كما ورد في النسخة الحالية " والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني "

٣ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ ١١٢، ١١٣

٤ - المرجع السابق: جـ١ ص١٥٥، ١٥٦

عن هذه الكتب، وإنما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته _عليه السلام _ إلزاما لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها، هي مثل جميع كتبهم في الصحة، فإن كان يحسن الاستدلال بها تم مقصودنا، وإن كان لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب لأن جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب ولا يقبلوا ما فيها ؟ " [١]

وأخيرا رد القاضي عبد الجبار على زعم النصارى أن القول بالتثليث هو كقول المسلمين بسم الله الرحمن الرحيم فيقول: "وهذا غلط من النصارى وليس كقول النصارى في التوحيد من قول المسلمين بسبيل، وإنما يقول هذا من يروم المغالطة والفرار من فحش المقالة، لأن الله عند المسلمين ذات واحدة لها صفات كثيرة وأسماء كثيرة، وعند النصارى أن الواحد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابنا مولودا، ولا الابن المولود أبا والدا، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى "[٢]

فاستدلال النصارى بالبسملة على التثليث قياس مع الفارق لا يصح، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته.

"فالتفسير المسيحي الذي يجد في أن ثلاثة أقانيم جوهر واحد، ويزعم أنه كقول المسلمين _بسم الله الرحمن الرحيم _، وكقولهم في الله _ انه حي عالم قادر _ إن مثل هذا التفسير متهافت أساسا، فالله هو الرحمن الرحيم، وهو العالم القادر، وهو ذات واحدة لا تعدد فيها، لها صفاتها، وأسماؤها"[٣]

١ - الأجوبة الفاخرة: صـ٢٢١، ٢٢٢

٢ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص ٩٢، ٩٣

٣ - العقل والحرية _ دراسة في فكر القاضي عبد الجبار: د/ عبد الستار الراوي _ طبعة المؤسسة

المبحث الرابع: في نقد القاضي عبد الجبار لدعوى صلب المسيح عليه السلام

يعتقد النصارى "أنه بسبب خطيئة آدم استحق المسيح الصلب،تكفيرا عن تلك الخطيئة، ويعتقدون أن آدم مسؤول عن كل من تحدر منه مسؤولية رب العائلة عن أفراد عائلته " [١]

" ويعتقد النصارى أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم، وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، ولم تكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر بشكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطايا البشر "[٢]

" والصلب هو التعليق على خشبة الصلب، واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا، ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه، وزعموا أنه مات مصلوبا، والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد عندهم في التوراة: " وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تثبت جثته على الخشبة بل تدفنها في ذلك اليوم، لأن المعلّق ملعون من الله " [٣]، والنصارى يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوبا، ويعللون ذلك بما سبق.

يقول صاحب كتاب مخلص العالم: " إن عقيدة الصلب أساس الديانة المسيحية،

العربية للدراسات والنشر _ الأولى _ ١٩٨٠م_ ١٤٠٠هـ_ صـ١٩٨ بتصرف يسير.

١ – يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه: الأب بولس إلياس اليسوعي _ طبعة المطبعة الكاثوليكية _ بيروت _ الطبعة الثانية صـ٩٨

٢ – المسيحية: د/ أحمد شلبي _ طبعة مكتبة النهضة المصرية _ الطبعة العاشرة _ ١٩٩٣م صـ ١٣٦

٣ – التثنية ٢١: ٢٢

وموضوع الإيمان المسيحي، والمحور المسيحي الذي تدور عليه جميع العقائد المسيحية، والدعامة التي يرتكز عليها الإيمان، والنبع الذي تصدر عنه جميع الفضائل المسيحية، وهي مادة الإيمان الذي على كل مسيحي أن يعرفها، إذا لم يستطع معرفة الحقائق المسيحية كلها، ويؤيد هذا الإجماع المسيحي العام على هذه العقيدة، مع اختلافهم في كثير من الآراء والتفاسير التي فرقتهم إلى شيع ومذاهب، إلا أن عقيدة صلب المسيح بقيت هي الرابطة الحقيقية التي ربطتهم معا فلم يختلفوا فيها، ولا تشعبت آراؤهم عنها، إذ الكل يعترفون بصوت واحد أن المسيح مات لأجل خطايانا "[١]

ولقد وردت قصة صلب المسيح في كتاب النصارى المقدس في مواضع كثيرة وخلاصتها: أن المسيح عليه السلام طلبه اليهود ليقتلوه،لأنه في زعمهم كفر بالله، فدلهم على مكانه أحد أتباعه، وهو يهوذا الأسخريوطي [٢] بعد أن أغروه بالمال، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان قد فرغ من صلاة طويلة تضرع وتوسل فيها إلى الله عز وجل أن لا يذيقه هذه الكأس، ثم ساقوه إلى دار رئيس كهنة اليهود الذي تحقق من أنه مستحق للقتل، ثم حمل إلى دار الوالي الروماني الذي حكم عليه بالصلب بناء على رغبة اليهود، فصلب الساعة الثالثة صباحا من يوم الجمعة، ومات على الصليب التاسعة مساء (على خلاف بين الأناجيل في ذلك)

---

١ – مخلص العالم: القمص لوقا الأنطوني _ طبعة مكتبة المحبة القاهرة _ الطبعة الأولى ١٩٩٨م صـ٦٦

٢ – ورد في قاموس الكتاب المقدس _ صـ ١٠٨٩_ ١٠٩٠: يهوذا الأسخريوطي: يهوذا بن سمعان الأسخريوطي، التلميذ الذي خان سيده، ولقب بالأسخريوطي تمييزا له عن يهوذا الآخر أحد الإثنى عشر، والإسخريوطي هو التلميذ الوحيد بين التلاميذ الذي لم يكن جليليا، أسلم المسيح لأعدائه مقابل ثلاثين من الفضة.

وكان يصيح " إلهي إلهي لماذا تركتني " ثم دفن وظل في قبره ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد ، ولما جاءوا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خاليا، وقيل لهم: إنه قام من قبره، ثم إنه ظهر لهم في الجليل، وكلمهم وبقي معهم أربعين يوما ثم ارتفع إلى السماء، وهم ينظرون إليه.(١)

هذا هو مختصر قصة صلب المسيح التي يدعيها ويزعمها النصارى كما وردت في كتبهم، وهذا هو صميم معتقدهم، وأصل دينهم الذي بنيت عليه شريعتهم.

ومن المعلوم أن عقيدة النصارى قائمة ومعتمدة اعتمادا كبيرا جدا على مسألة الصلب، بل ويفتخرون بهذا الصليب، ومع ذلك نرى اختلافا كبيرا من قبل النصارى وطوائفهم في كيفية هذا الصلب.

وقد بين القاضي عبد الجبار اختلافهم الكبير في هذا الموضوع يقول: " واختلفوا في الصلب والقتل بعد اتفاقهم على أن المسيح صلب وقتل، فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لا هوته، وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكماله، والمسيح هو اللاهوت والناسوت. وزعم أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل وقعا في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللذين هما الإله والإنسان، وهو المسيح على الحقيقة، وهو الإله، وبه حلت الآلام حتى زعمت الملكانية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله في الحقيقة، ومنهم من قال إن المسيح جوهر واحد قديم من جهة، محدث من جهة، مولود من جهة، غير مولود من جهة، مصلوب مقتول من جهة، غير مقتول مصلوب من جهة، ومنهم من قال إن القتل والصلب والموت والألم كان على

١ - لمعرفة تفاصيل ذلك انظر: إنجيل متى من الإصحاح ٢٦ حتى الإصحاح ٢٨، وإنجيل مرقس من الإصحاح ١٤ حتى الإصحاح ١٦، وإنجيل لوقا من الإصحاح ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤، وإنجيل يوحنا من الإصحاح ١٨ حتى الإصحاح ٢١

الحيلولة لا على اليقين، وأن الجنس المتحد به لطيف لا تحله الآلام " (١).

ولقد أجاد القاضي عبد الجبار في دحض زعم النصارى صلب المسيح عليه السلام بأدلة شافية كافية بينة واضحة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ويظهر من اهتمام القاضي بنقد صلب المسيح يقينه الواضح بأن عقيدة الصلب عند النصارى هي عصب كل الديانة المسيحية، وأساس بنيانها، وأن " انتفاء الصلب انتفاء للمسيحية " كما قال البروفسور / جوردن مولتمان في كتابه "الإله المصلوب " (٢)

ويبدأ القاضي عبد الجبار بالتأكيد "على أن النصارى لو رجعت إلى أخبارها، وإلى ما جاء في أناجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسيح، إذا كانت هذه الأناجيل معولهم "(٣)

ويفهم من كلام القاضي عبد الجبار أن المنازعة ليست في الصلب، وإنما هي في عين المصلوب، فنحن المسلمين لا ننفي كون الصلب قد وقع، ولكن ننفي كون المصلوب هو عيسى عليه السلام.

ثم يقول بعد إيراد ملخص القصة من الأناجيل إن من يقرأ هذه القصة يتيقن أن المصلوب ليس هو المسيح بدلالة عدة أمور:

" منها إقرار اليهود والروم أنهم ماعرفوه، وأخرى أن الذي دلّ عليه لو كان ظاهر العدالة لما عرف بخبره ولا بشهادته شيء، وأخرى جزعه وقلقه وإنكاره،

١ - المغني: القاضي عبد الجبار _ جـ ٥ ص٨٤ وانظر أيضا: الملل والنحل: الشهرستاني _ جـ ١ صـ٢٢٦_ ٢٣٤ مرجع سابق

٢ - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء: الشيخ / أحمد ديدات _ ترجمة / على الجوهري _ طبعة دار الاعتصام القاهرة _ بدون تاريخ _ صـ ١٠

٣ _ تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص١٣٧

ولو كان المسيح لأخبر بذلك ولقال: أنا هو الذي بشّر بي الأنبياء، وانني كذا وكذا، سيما والحاكم بينه وبين اليهود ملك الروم وهم أعداء اليهود، وكان قد أقام الحجة عليهم، هذا لو كان نبيا، فكيف وهو عند النصارى إله، فإن الأنبياء يبدأون الدعوى والحجة عند من لم يسأل ذلك فكيف بمن يسأل ويرغب إليهم "[١]

" وأخرى أن يهوذا سرخوطا قال: هذا دم بريء، وبرئ منهم ورد الدراهم، ورجع إلى بيته وقتل نفسه ندما على ما كان منه. فقلنا للنصارى: فكم في هذا من دلالة على أن المقتول المصلوب غير المسيح، فأنتم لا إلى حجج العقول ترجعون، ولا إلى ما كتبتم وسطرتم تتدبرون، ولا على ما نعلم تعوّلون، ولكنكم تمشون مكبّين على وجوهكم " [٢]

" وفي الإنجيل أن المسيح كان قائما في ناحية في موضع الصلب، وأن مريم أم المسيح جاءت إلى الموضع فنظر إليها المصلوب فقال لها وهو على الخشبة: هذا ابنك، وقال للمسيح: وهذه أمك [٣]، وأن مريم أخذت بيده ومضت من بين الجماعة"[٤]

ومن الأدلة التي يوردها القاضي عبد الجبار على أن المقتول المصلوب غير المسيح قول المصلوب على الخشبة كما ورد في الأناجيل "إلهي إلهي لم خذلتني؟" وهو كلام يقتضي عدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزّه

١ – المرجع السابق: جـ ١ صـ١٤١

٢ – المرجع السابق: جـ ١ صـ١٤١ ويشير القاضي إلى ما ورد في متى ٢٧: ٣، ٤ " حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا "

٣ – جاء في إنجيل يوحنا ١٩: ٢٦ " فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لأمه: يا امرأة هو ذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هي ذا أمك "

٤ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ صـ١٤١

عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لا سيما والنصارى يقولون: إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف يروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك [١]

فعدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله _ تعالى _ لا يليق بعيسى _عليه السلام _ أما على اعتقاد المسلمين، فلأنه نبي، والأنبياء أولى الناس بالرضا بالقضاء، وأما على قول النصارى، فلأنه إله من إله، والإله لا يجزع.

وأيضا صدور الجزع من عيسى _ عليه السلام _ ينافي ما ينادي به النصارى من أنه نزل ليؤثر العالم بنفسه، فكيف يجزع مما نزل لأجله ؟

ويتساءل القاضي عبد الجبار:من أين للنصارى القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة، فحكاية القبض على المسيح كما وردت في الأناجيل _ فقط الحكاية _ دون إبداء ملاحظات عليها كلها تثير العجب كما يقول القاضي "فانظر كم في هذا من عجب ؟ " [٢]

فقد " ادعى النصارى أنهم قد علموا ذلك، وليسوا به عالمين، ولا متيقنين، وما معهم فيه إلا الظن كما قال تعالى: (وقولهم إنا) أي ليس ثمّ يقين، ولا سكون نفس، تقول العرب في الخبر المتيقن قتلته علما وقتلته يقينا. ثم قال: (بل رفعه الله إليه) أي صانه وعصمه أن تناله يد عدوه بالقتل والصلب"[٣]

١ - المرجع السابق: جـ ١ ص١٣٩ ويشير القاضي إلى نص متى ٢٧: ٤٦ " ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني " وانظر أيضا: بين الإسلام والمسيحية كتاب أبي عبيدة الخزرجي (مقامع هامات الصلبان) _ تحقيق:د/ محمد شامة _طبعة مكتبة وهبة _ الثانية _ صـ ١٦٤

٢ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ١ صـ ١٤١

٣ - المرجع السابق: جـ١ صـ١٢٣

ويقول: " على أن النصارى لو رجعت إلى أخبارها، وإلى ما في أناجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسيح، إذا كانت هذه الأناجيل معوّلهم"(١)

وقريب مما قاله القاضي عبد الجبار ذكره غير واحد من علماء المسلمين منهم مثلا أبو عبيدة الخزرجي حين قال: " ثم قلت أيها القسيس: إنه لا ينكر صلب عيسى إلا كافر، وما ذلك إلا ضلالات ابتدعتموها، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها، وأيم الله إنكم لفي شك منه ما لكم به من علم إلا اتباع الظن.

وإلا فأخبرني أيها المغرور ما معنى قول "يهوذا الإسخريوطي" وهو من الحواريين تلاميذ المسيح " أمرتد عنكم بزعمكم " ودل عليه بظنكم حين خرج مع اليهود إلى طلبه، قال لهم: إني لأستحي منه، ولذا سوف أجعل الأمارة عليه، حيث إنكم لا تعرفونه بعينه، أن أقبله فإذا فعلت ذلك فأنتم وذاك فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه، وهذا منصوص في أناجيلكم.

وفي أناجيلكم أيضا أن اليهود حين أحاطوا بالمسيح ومن معه خرج بنفسه إليهم وقال: من تطلبون ؟ قالوا: يسوع الناصري، قال: أنا هو، فنظروا إلى يهوذا نظرة تساؤل عن الإشارة التي اتفقوا معه عليها ففعلها، فقبضوا عليه بظنكم. أخبرني: كيف أمنتم والحال كما رويتم أن يكون قد عمد اليهود إلى سواه، حيث كانوا لا يعرفونه، ورفعه الله "(٢)

* * *

١ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ ١ ص١٣٧

٢ – مقامع هامات الصلبان: أبو عبيدة الخزرجي ص

المبحث الخامس: بيان القاضي عبد الجبار لدور بولس في المسيحية:

كان دخول بولس المسيحية هو الحاجز بين المسيحية الموحدة والمسيحية القائلة بالتثليث، ويتهمه بعض المسيحيين بأنه دخل المسيحية ليفسدها، وادّعاها تضليلا ليتسنى له القضاء على الحواريين بما نسبه إليهم من الأقوال التي لا تتفق مع توحيد المسيح. يقول قائلهم: " لقد شوّه بولس تعاليم راعينا حتى لكأنهّ أعاد صلبه مقلوبا رأسه إلى أسفل " (١)

يقول الإمام القرافي: " بولس إبليس على النصارى، أخرجهم من هذا الدين كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال، بسبب أنه كان يهوديا، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه، فأعمل الحيلة"(٢)

ويقول: " وهذا الملعون _ بولس _ هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم... وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك فالنصارى له في غاية الإجلال، وعلى رأيه وقوله في غاية الإقبال " (٣)

ويقول القس العراقي المهتدي عبد الأحد داود: " إن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم بولس، فلا محل للحيرة إذا قلت: إن المؤسس الحقيقي للمسيحية هو بولس " (٤)

ويقول الشيخ / محمد أبو زهرة: " إن لبولس هذا لشأنا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، فرسالته هي التي شرحتها، وقد كان بنشاطه الجم، وتطوافه في الأقاليم مشرّقا ومغرّبا، لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه، بل

١ – مذكرات شارلي شابلن: ترجمة صلاح حافظ _ طبعة دار الهلال جـ ٢ ص١٢٥

٢ – الأجوبة الفاخرة: القرافي صـ ١٢٠

٣ – الأجوبة الفاخرة: القرافي صـ ١٢٤

٤ – الإنجيل والصليب: القس عبد الأحد داود طبعة القاهرة ١٣٥١هـ ص١٦٠

على قصد الرحيل إلى غيره، أشد دعاة المسيحية، وقد تأثر المسيحيون بخطاه، وتعرفوا أخباره وأقواله، ما دونه منها في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه،وإن لم يدونه هو، وتأثروا بأعماله، فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه، واعتبروه القدوة الأولى " [١]

فهو المسئول الرئيس عن ابتعاد النصارى عن الدين القويم، اتسم سلوكه عندهم بالنفاق والانتهازية، "كان يمدح التوراة لليهود، ويقول لهم إنها سنة حسنة لمن يعمل بها، ويذمها للروم وغيرهم من أعداء موسى والأنبياء مدّعيا أنها مهيجة للبشر، وإذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل بر الله وتم فضله، وقد اعترف هو بذلك حين صرّح "كنت مع اليهودي يهوديا، ومع الرومي روميا، ومع الأرماني أرمانيا [٢]"

ومن أوائل من لفت النظر إلى دور بولس الخطير في العقيدة المسيحية كان القاضي عبد الجبار فقد تناول هذا الموضوع بعمق بالغ وإدراك لأهميته، فهو يقول مثلا : " وقد كان بولص هذا يهوديا خبيثا شريرا، ساعيا في الشر، ومعينا للأشرار، وثائرا في الفتن، طالبا للرئاسة والدولة، محتالا فيها بكل وجه، وكان يقال له وهو يهودي: شاؤول، وكان يعين على النصارى، ثم خرج من بيت المقدس وغاب غيبة طويلة، وعاد إلى بيت المقدس وأخذ يعين النصارى على اليهود ويقول لهم: قولوا كذا، واصنعوا كذا، وفارقوهم، وقاربوا الأمم التي تعادي اليهود. فقال له اليهود: كيف صرت نصرانيا ؟ وما الذي دعاك إلى هنا ؟ فقال: الله تبارك وتعالى دعاني إلى ذلك، وكان من قصتي أني خرجت من بيت المقدس أريد دمشق، فأدركني الليل

١ – محاضرات في النصرانية: الشيخ / محمد أبو زهرة _ صـ٦٩

٢ – الأرماني من يعبد الكواكب والأوثان: هامش صفحة ١٥١ من تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار

بظلمته، وهبت ريح عظيمة وذهب بصري، وناداني الرب وقال لي: يا شاؤول أتلاطم الشقاء تؤذي أصحاب ابني ؟ فقلت: يا رب قد تبت، فقال لي: إن كان كما تقول فاذهب إلى حاييم اليهودي الكاهن ليرد إليك بصرك..."[١]

ويحلل القاضي عبد الجبار دور بولس التاريخي في تحريف عقائد المسيحية من خلال عرض طويل لكيفية تبدّل الدين الصحيح الذي يقول إنه " لم يتغير، ولم يتبدل جملة واحدة، ولكن شيئا بعد شيء، وفي كل عصر، وفي كل حين حتى تكامل تغييره، وما زال أهل الحق فيه يقلون، وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا، ومات الحق " [٢]

ونلاحظ من تناول القاضي لهذا المطعن دقته وذكاءه في تحديد محل الطعن إذ أنه بتناوله لهذا الموضوع شكك في جملة دين النصارى، وإذا حصل الشك في أصل دينهم لأنه ليس دين عيسى _عليه السلام _ بل دين بولس فعلام يعول بعدها؟!

يقول: " فهذا يرحمك الله كما ترى وتسمع، فلولا أنا رأينا قوما عقلاء يقولون هذا، وسمعناه منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد وأخرجوه من غوامض أسرارهم، لما صدّق الناس أن في الدنيا من قال بهذا أو نطق به " [٣]

١ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار ج ١صـ ١٥٦ يشير القاضي عبد الجبار إلى ماورد في سفر أعمال الرسل ٩: ١٨/١ يقول " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضهدني..." إلخ مع اختلاف في اسم الكاهن اليهودي وهو هنا حنانيا، والقاضي يورده حاييم.

٢ – تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ١ ص١٥٢

٣ – المرجع السابق: جـ ١ ص١٠٥

المبحث السادس : مناقشة بعض شبهات النصارى على المسلمين

وقد ناقش القاضي عبد الجبار شبهات كثيرة أثارها النصارى حول الإسلام ونختار منها مناقشته لدعوى النصارى أن الإسلام قد انتشر بالسيف:

فالنصارى يزعمون أن الدين الإسلامي دين العنف، وأنه انتشر بحد السيف، ولولا ذلك لما انتشر، ولما قبله الناس. بينما انتشر الدين النصراني بالسلام والمحبة بعيدا عن العنف والقتال، كما يزعمون أن ليس في الإنجيل ما يدل على استخدام السيف أو الأمر باستخدامه.

جاء في رسالة القسيس القوطي إلى أبي عبيدة الخزرجي ما نصه: " ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض، وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم، وكان سببا في تغيير أمرنا وتكفيرنا، وإنما جاء المسيح ابن مريم مهينا ضعيفا، ولم يقاتل أحدا " [١]

ويتساءل النصارى اليوم قائلين: " إن المسيح لم يقاتل أحدا في حياته، وكان يقابل الإساءة بالصفح حتى مع أشد خصومه وأعدائه، فأي الأسلوبين أعدل وأكمل: الدعوة بالجهاد والحرب، أم الدعوة بالتسامح والحب ؟" [٢]

وقد بين القاضي عبد الجبار _ رحمه الله _ تناقض النصارى في مسألة ذمهم وعيبهم انتشار الإسلام بالسيف فيقول: " ونراكم تدّعون للمسيح الرأفة والرحمة، وتنزيهه عن فعل الألم والشدائد والمضار والهموم، مع ادعائكم أن الفاعل لذلك كله وما يجري في الكون هو المسيح، فما سمع بقوم هم أجهل وأوقح وأبهت من النصارى، إذ هذا قولهم، وهم يعيبون حمل محمد صلى الله عليه وسلم السيف على

١ - بين الإسلام والمسيحية: أبو عبيدة الخزرجي ص١١٥، ١١٨ مرجع سابق

٢ - الإسلام وخرافة السيف: د/ عبد الودود شلبي _ طبعة مؤسسة الخليج العربي _ القاهرة _ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م ص١٤٣

من كفر بالله وعبد الأوثان والكواكب والنيران من دون الله "[١]

وإذا كان النصارى يقولون إن من حمل السيف كان مبطلا: " فالمسيح أول المبطلين، لأنه عندكم أرسل موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء بالسيف، وقتل الرجال والنساء المخالفين له، وأحل له في بعض الحروب قتل الرجال، وكل امرأة ضاجعت رجلا، واستبقاء الأبكار، وأحل له الغنائم وأخذ الأموال ودفعها إلى بني إسرائيل، وكذا سائر الأنبياء الذين تتولونهم، وتقولون إنهم على الحق، إلى أن جاء المسيح وظهر للناس وقال: ما جئت مخالفا لموسى ولا للتوراة وإنما جئت متمما، ولأن تسقط السماء على الأرض أيسر عند الله من أن يحل شيء مما عقده موسى "[٢]

ويبين القاضي أن ادعاء النصارى انتشار الإسلام بالسيف يكذبه الواقع التاريخي، فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكا ولا صاحب مال ليكره الناس على الإيمان بما جاء به، يقول: " فإن قيل: أو ليس مع ادعائه النبوة قد حمل السيف، وحارب بمن أطاعه من عصاه ؟ فما تنكرون أن يكون الذي تم له من أوله إلى آخره إنما تم بالسيف والمكابرة لا بالآيات والمعجزات ؟

قيل له: ما أنكرنا أنه حمل السيف، وإنما كلامنا في الذين صاروا سيوفا له وعساكر، وبهم استطال على عدوه، فإن هؤلاء قد أجابوه بلا دنيا ولا سيف، وبمصيرهم إلى طاعته صحت نبوته فظهرت دلائل رسالته لأنه ما خلق قوما حملوا السلاح معه، وإنما أجابه المهاجرون والأنصار الذين هم من قريش وغيرهم من العرب، وقد أتاهم بإكفارهم وإكفار آبائهم، وبه من الوحدة والفقر ما هو معروف

١ - تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ جـ١ صـ ١٨٩

٢ - المرجع السابق: جـ١ صـ١٨٨

مشهود حتى آمن به الكثيرون، فنصره الله تعالى وأيّده دون حاجة لحمل السيف"[١]

ويضيف قائلا: " وكم قد أسلم وأجاب من قبائل العرب على هذه السبيل.... فالذين أجابوه صلى الله عليه وسلم وبهذه الشرائط خلق كثير، وأمم عظيمة هي مذكورة، يعرفها أهل العلم، ومن أراد أن يعرف ذلك حتى يصير في مثل حالهم قدر على ذلك ووجد السبيل إليه. فهؤلاء الذين أسلموا لله ومن خوف وتقربا إلى الله هم عساكره "[٢]

فإيمان الصحابة برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بالقوة والقهر، ولو كان كذلك لما فدى الصحابة _ رضي الله عنهم _ رسول الله بأرواحهم وأنفسهم مرات عديدة

ويناقش القاضي شبهة أن الناس إنما اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أجل الغنائم التي توزع بعد الحروب والغزوات فيقول: " فإن قيل: أوليس قد أباحهم الغنائم، فما تنكرون أن تكون إجابتهم له لهذه العلة ؟ قيل له: هذا لا يسأل عنه من يعقل ولا من يفكر، لأن القوم قد اعتقدوا صدقه ونبوته، فكانت إجابتهم له لهذا، وعلى هذا تقربوا إلى الله عن رضى بذلك، فمن ادعى غير ذلك فقد أنكر المعلوم أو يكون لم يسمع الأخبار، فالصحابة إنما أجابوه على أن ينفقوا أموالهم ويسفكوا دمائهم ويقتلوا آبائهم وأبنائهم في طاعته ولأجله، فكيف يسوغ لعاقل فكر وتدبر أن يقول إنما أجابوه طلبا للدنيا ورغبة في الراحة والدعة، والأمر بالضد من ذلك، ثم إن لم يكونوا تبعوه إلا للغارة والغنائم لكانوا يقولون له: حاجتنا إليك في الغارة والغنائم ونحن أعلم بها منك، وهي صناعتنا نحن وعادتنا، وما الذي يدعون إلى

١ - المرجع السابق: جـ١ صـ ١٩_ ٢١ بإيجاز

٢ - المرجع السابق: جـ١ صـ ٢٣، ٢٤

اتباعك وما معك وما نتبعك إلا أن تبعثنا على الغارة والغنائم، أمن أجل أموالك، وكثرة كنوزك، وروج دولك، واصطبلات خيولك ؟ أم لخزائن سلاحك ؟

ومن أمرنا أن نكفّر آباءنا ؟ ونشهد بضلالهم، ونسخّف أجلاءهم، ونعادي الأمم وجبابرة الملوك، ونسفك دماءنا في طاعتك، ونقتل كل من عاداك وخالفك، وإن كانوا أباءنا وأبناءنا وإخواننا، ونفارق أوطاننا وأزواجنا، ونهجر اللذات من شرب الخمور ولبس الحرير، وشفاء الغيظ بقتل من سبّنا أو عاب آباءنا كعادتنا في ذلك، ثم لا تحصل إلا على شيء إذا غنمناه بقوتنا، وغلبنا عليه بأسيافنا بعد المخاطرة بدمائنا أن نسلمه إليك فتعطينا بعضه، هذا لا يختاره إلا بله النساء، فكيف بالمهاجرين والأنصار الذين أجابوه فكان بهم في عزة ومنعة، وصبروا على تلك الشرائط التي شرطها "[١]

يقول الماوردي رحمه الله في أجوبة ثلاثة لهذه الشبهة : " أحدها أن الله تعالى بعث إلى كل نبي بحسب زمانه، فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع، ومنهم من بعثه باللطف لأن اللطف أنفع، كما خالف بين معجزاتهم بحسب أزمانهم، فبعث موسى بالعصا في زمان السحر، وبعث عيسى بإحياء الموتى في زمان الطب، وبعث محمدا بالقرآن في زمن القصاصة، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع القلة، ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة "

ثم يضيف جوابا ثانيا بقوله: " أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيرا، واللطف إذا كان مع إقرار الباطل كان شرا، لأن الشرع موضوع لإقرار الفضائل الإلهية، والحقوق الدينية، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير وينتفي به الشر، لأن النفوس الأشرة لا يكفّها إلا الرهبة فكان القهر أبلغ من انقيادها من

١ - المرجع السابق: جـ١ صـ ١١،١٢

الرغبة، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم، وقوة شجاعتهم، فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف ".

ثم يتبع ذلك _ رحمه الله _ بجواب ثالث يؤكد فيه ما قاله القاضي عبد الجبار وغيره: " إنه لم يكن صلى الله عليه وسلم في جهاده بالسيف بدعا من الرسل، ولا أول من أسخن أعداء الله تعالى... ومحمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الإباء "[١]

ويؤكد هذا الكلام أيضا الإمام ابن حزم _ رحمه الله _ بقوله: " وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلا يختلف أحد في شرق الأرض وغربها في أنه عليه الصلاة والسلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرّون بملك، ولا يطيعون لأحد، ولا ينقادون لرئيس، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام، قد سرى الفخر، والعز، والنخوة، والكبر، والظلم، والأنفة في طباعهم ، وهم أعداد عظيمة قد ملأوا جزيرة العرب، وهي نحو شهرين في شهرين، قد صارت طباعهم طباع السباع، وهم ألوف الألوف ؛ قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدا فدعاهم بلا مال ولا أتباع، بل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة، ومن الحرية والظلم إلى جري الأحكام عليهم، ومن طول الأيدي بقتل من أحبوا، وأخذ مال من أحبّوا إلى القصاص من النفس، ومن قطع الأعضاء، ومن اللّطمة من أجلّ من فيهم لأقل علج غريب دخل فيهم، وإلى إسقاط الأنفة والفخر، إلى ضرب الظهور بالسياط أو بالنّعال إن شربوا خمرا، أو قذفوا إنسانا، وإلى الضرب بالسياط، والرجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا، فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعا بلا طمع

١ – أعلام النبوة: الماوردي _ طبعة دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م صـ ١٢٧،١٢٨

ولا غلبة ولا خوف.وما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط، وما غزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات، بعضها عليه، وبعضها له، فصح ضرورة أنهم إنما آمنوا به طوعا لا كرها، وتبدّلت طباعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل، ومن الجهل إلى العلم، ومن العسف والقسوة إلى العدل العظيم الذي لم يبلغه أكابر الفلاسفة،وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر، وصحب منهم الرجل قاتل أبيه وابنه، وأعدى الناس له صحبة الأخوة المتحابين دون خوف يجمعهم، ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم، ولا مال يتعجلونه

فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر _ رضي الله عنهما _ وكيف كانت طاعة العرب لهما، بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة، فهل هذا إلا بغلبة من الله _تعالى_ على نفوسهم، وقسره _ عز وجل _ لطباعهم كما قال تعالى: "لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم [١] ثم بقي عليه السلام كذلك بين أظهرهم بلا حرس، ولا ديوان جند، ولا بيت مال محروسا معصوما، وهكذا نقلت آياته ومعجزاته " [٢]

تقول المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة (وهي من المستشرقين النصارى المنصفين): " إن الإسلام انتشر بالإقناع والمحبة والعقل، وأن النصارى هم الذين نشروا هذه الدعوى حسدا وحنقا على الإسلام وأهله، وتحسرا على شبابهم الذين أعجبوا بروعة الإسلام وسموه وأدبه وترغيبه في العلم، كما وضّح ذلك أسقف قرطبة "ألفارو" الذي راح يجأر بشكواه بكلمات تصور بلواه...، وكذلك شهادة الفارس الفرنسي الشهير " فولشير الشارقي ".. ثم ننقل في مقابل ذلك ما فعله

١ – سورة الأنفال: الآية ٦٣

٢ – الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، ود/ عبد الرحمن عميرة طبعة دار الجيل بيروت الثانية جـ٢ ص٢٣٠

النصارى بالمسلمين في غرناطة والحمراء من قتل وحرق علني لكل من اعتنق الإسلام في احتفالات رسمية وطقوس وشعائر دينيه "[١]

* * *

١ - الله ليس كذلك: زيجريد هونكة _ طبعة دار الشروق _ الثانية ١٤١٧هـ صـ ٤١، ٤٢

الخاتمة

لا أحسبني مغاليا أو مجانبا للصواب إذا قلت إن القاضي عبد الجبار له إسهامات لا يمكن إغفال قيمتها العلمية في مجال علم مقارنة الأديان عموما، وفي الرد على النصارى خصوصا، وإن له مشاركات مهمة في وضع وترسيخ أسس ودعائم هذا العلم، حيث إنه من الثابت تاريخيا فيما أعلم أنه لا توجد كتابات عن مقارنة الأديان لدى من سبق القاضي عبد الجبار على نفس المستوى من العمق، والنضج، والمنهجية كما وجدت عند القاضي عبد الجبار.

وقد حاولت في الصفحات القليلة السابقة أن أتناول التعريف بجهود ومنهج القاضي عبد الجبار الذي دخل ميدان الصراع بين الإسلام والنصرانية محاورا ومناظرا ومجادلا، وأجاب عن الشبهات والأسئلة التي يعرضها الطرف الآخر، كما طرح أسئلة ومناقشات كثيرة جدا على هذا الطرف تبين قوة الموقف الإسلامي وصلابته، فكشف بهذا عن علم عميق بما لدى الآخرين من عقيدة وثقافة، وسلوك.

وغني عن القول ما ظهر من علمه الواسع، واطلاعه الغزير على كتبهم وموروثاتهم، ومحاججته لهم بما فيها بصورة استقرائية تامة، مما يدل على تتبع جاد عميق.

وقد أظهر القاضي عبد الجبار أمانة علماء المسلمين وإنصافهم الشديد في حكاية أقوال الطرف الآخر على الرغم مما فيها من إساءة، وهذا مما يجب أن يلتزم به المحاور المسلم إذ هو لا يخشى من شيء.

وختاما فإنني أود أن أشير إلى أن هذا الموضوع ما زال في حاجة إلى جهود العديد من الباحثين والدارسين في مجال الدراسات الإسلامية، إذ أنه لم ينل حتى الآن حظه من البحث والدراسة.

أهم المراجع

- أعلام النبوة: الماوردي _ طبعة دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
- ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة: أبو الحجاج يوسف البلوي_ الطبعة الثانية عالم الكتب بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- الإسلام وخرافة السيف: د/ عبد الودود شلبي _ طبعة مؤسسة الخليج العربي _ القاهرة _ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م
- الإنجيل والصليب: القس المهتدي عبد الأحد داود طبعة القاهرة ١٣٥١هـ
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: عباس بن منصور الترينى السكسكي الحنبلي _ تحقيق: د/ بسام علي سلامة العموش _ طبعة مكتبة المنار _ الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م
- بين الإسلام والمسيحية كتاب أبي عبيدة الخزرجي (مقامع هامات الصلبان) _ تحقيق:د/ محمد شامة _طبعة مكتبة وهبة _ الثانية
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري: ابن عساكر _ تعليق: الشيخ الكوثري طبعة مطبعة التوفيق دمشق .
- تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار _ حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان طبعة دار العربية _ بيروت بدون تاريخ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: البيروني _تقديم د/محمود علي مكي _ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة _الذخائر ١٠٩
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية _ تحقيق وتعليق: د/ علي بن حسن بن ناصر، ود/ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ود/ حمدان بن محمد الحمدان _ طبعة دار العاصمة _ الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح: الإمام الألوسي البغدادي _ تحقيق: أحمد حجازي السقا _ طبعة دار البيان العربي _ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م
- درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية _ تحقيق د/ محمد رشاد سالم _ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م .
- رسالة الرد على النصارى: القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي _ تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله _ طبعة دار الآفاق العربية _ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م
- الصحائح في جواب النصائح: الشماس الصفي بن العسال طبعة مطبعة الشهداء ١٤٦٣هـ.
- العقل والحرية _ دراسة في فكر القاضي عبد الجبار: د/ عبد الستار الراوي _ طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ الأولى _ ١٩٨٠م_ ١٤٠٠هـ
- العواصم من القواصم: أبو بكر بن العربي _ تحقيق د/ عمار طالبي _ طبعة مكتبة دار التراث القاهرة _ بدون تاريخ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، ود/ عبد الرحمن عميرة طبعة دار الجيل بيروت الثانية
- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات: محمد عبد الله الشرقاوي _ طبعة دار الجيل بيروت _ الثانية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م
- الله ليس كذلك: زيجريد هونكة _ طبعة دار الشروق _ الثانية ١٤١٧هـ.
- الله واحد أم ثالوث ؟: محمد مجدي مرجان _ طبعة دار النهضة العربية _ القاهرة _ بدون تاريخ
- مخلص العالم: القمص لوقا الأنطوني _ طبعة مكتبة المحبة القاهرة _ الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

- محاضرات في النصرانية: الشيخ أبو زهرة _ الطبعة الثالثة _ دار الفكر العربي ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م
- المختار في الرد على النصارى: الجاحظ _ تحقيق ودراسة د/ محمد عبد الله الشرقاوي _ طبعة دار الجيل _بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م
- مذكرات شارلي شابلن: ترجمة صلاح حافظ _ طبعة دار الهلال _ القاهرة.
- مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء: الشيخ / أحمد ديدات _ ترجمة / على الجوهري _ طبعة دار الاعتصام القاهرة _ بدون تاريخ
- المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي: د/ عبد الحكيم بن الشريف فرحات _ طبعة دار الفكر الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م
- المسيحية: د/ أحمد شلبي _ طبعة مكتبة النهضة المصرية _ الطبعة العاشرة _ ١٩٩٣م
- الملل والنحل : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني _ تحقيق: محمد فريد طبعة المكتبة التوفيقية _ بدون تاريخ.
- منهج البحث العلمي عند العرب: د/ جلال محمد موسى _ طبعة دار الكتاب اللبناني _ بيروت ١٩٧٢م.
_ النقد الأعلى للكتاب المقدس: د/ قنديل محمد قنديل _ دار الطباعة المحمدية _ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ /١٩٨٩م
- نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة: أحمد علي عجيبة _ طبعة دار الآفاق العربية _ الأولى سنة ٢٠٠٤م.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ابن القيم _ تحقيق: محمد أحمد الحاج طبعة دار القلم _ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٨٠١
المبحث الأول: ضبط القاضي عبد الجبار للمذاهب النصرانية	١٨٠٨
المبحث الثاني: مرجعية القاضي عبد الجبار في عرض مذاهب النصارى	١٨١٨
المبحث الثالث : نقد القاضي عبد الجبار للتثليث	١٨٢٦
المبحث الرابع: في نقد القاضي عبد الجبار لدعوى صلب المسيح عليه السلام	١٨٣٦
المبحث الخامس: بيان القاضي عبد الجبار لدور بولس في المسيحية:	١٨٤٢
المبحث الخامس: بيان القاضي عبد الجبار لدور بولس في المسيحية:	١٨٤٣
المبحث السادس : مناقشة بعض شبهات النصارى على المسلمين	١٨٤٦
الخاتمة	١٨٥٣
أهم المراجع	١٨٥٤
فهرس الموضوعات	١٨٥٧

* * *